محمد بدر الدين أبو صالح

مدرس العربية في الثانوية الشرعية بحلب

المدخل إلى العربية

أبحاث توجيهية في اللغة العربية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

منشورات
مكتبة الشرق
عبد السميع عفيش
حلب - ص.ب ٤١٥ // هاتف ١٢٧٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

« وإنّه لتنزيلُ ربِّ العالمين . نزلَ به الروحُ الأمينُ .
على قلبِكَ لتكونَ من المنذرينَ . بلسانٍ عربيٍ مبينٍ »

— سورة الشعراء — ١٩٣ - ١٩٦

« ولقدْ ضربْنا للنّاسِ في هذا القرْآنِ منْ كلِّ مثَلٍ
لعلّهمْ يتذكّرونَ . قرآناً عربياً غيرَ ذي عوجٍ لعلّهم يتّقونَ »

— سورة الزمر — ٢٨ - ٢٩

« ولقدْ نعلمُ أنّهمْ يقولونَ : إنّما يعلمهُ بشرٌ . لسانُ الذينَ
يُلحدونَ اليهِ أعجميٌ وهذا لسانٌ عربيٌ مبينٌ »

— سورة النحل — ١٠٤

الاهـــداء

إلى المؤمنين بعظمة « اللغة العربية » الخالدة
ورسالتها العامة السامية ، وأنها « لغة الاعجاز »
تعلو سائر اللغات العالمية الحية .

أقوال مأثورة

ـ قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن » ـ رواه المرهبي باسناده ـ

« أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي » .

ـ رواه السلفي باسناده ـ

ـ مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم قد رموا رشقاً فأخطأوا فقال : ماأسوأ رميكم فقالوا : نحن متعلمين فقال : لخنكم أشد عليَّ من رميكم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رحم الله امرأ أصلح من لسانه » .

ـ رواه المرهبي باسناده ـ

ـ قال ابو بكر رضي الله عنه : « لأن أقرأ وأسقط أحب اليَّ من أن أقرأ وألحن » .

ـ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « تعلموا العربية فانها من دينكم . تثبت العقل وتزيد في المروءة . وكان يضرب أولاده على اللحن ولا يضربهم على الخطأ . ووجد في كتاب عامل له لحناً فأحضره وضربه درةً واحدةً » .

ـ كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنهما : « أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فانه عربي » .

ـ قال عبدالله بن المبارك رضي الله عنه : « لا يُقبل الرجل بنوعٍ من العلوم ما لم يزين علمه بالعربية » .

وكان يقول : « أنفقت في الحديث أربعين ألفاً ، وفي الأدب ستين ألفاً ، وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب ، قيل له : كيف ؟ قال : لأن الخطأ في الأدب يؤدي إلى الكفر » .

ـ « عن أبي الزناد عن أبيه قال : ماتزندق من تزندق بالمشرق إلا جهلاً بكلام العرب » .

ـ « قال أبو منصور الثعالبي ـ شيخ أدباء عصره ـ في مقدمة كتابه النفيس « فقه اللغة وسر العربية » : إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها » .

ـ قال الامام الزمخشري في خطبة كتابه « المفصّل » :

ولعل الذين يغضون من العربية ، ويضعون من مقدارها ، ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه ، لا يبعدون عن الشعوبية منابذةً للحق الأبلج الواضح ، وزيفاً عن سواء المنهج . . . »

ـ قال المستشرق سخاو :

لأن أهجى بالعربية خير من أن أمدح بغيرها » .

كلمة بين يدي الكتاب

حمداً لله « الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان » وصلاةً وسلاماً على رسوله « محمد بن عبدالله » الناطق بأفصح لغة ، والمبعوث بأوضح بيان ، المنزل عليه في فجر وحيه : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »

وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وبعد :

فقد لاحظت أن سبب سقوط الطلاب في الشهادات والصفوف الانتقالية غالباً هو ضعفهم في « اللغة العربية » لأن الكتب التي تدرس في مدارسنا كتب منهجية تقدم كل علم وكل فن بشكل موضوعي دون أن تقدم لذلك بمقدمة تتحدث عن ماهية هذا العلم ، أو ذاك الفن ، من حيث تعريفه ، وأهميته ، والغاية منه ، وموقعه بين العلوم الأخرى ، ومواطن الحاجة إليه ، وموضوعاته وبحوثه ، وميدان تطبيقها والافادة منها ، مع توجيهات قيمة هادفة تحقق الفائدة المرجوة من دراسة هذا العلم ؛ مما يشوق الطالب إلى هذا الكتاب ، ويعرفه به ، ويحببه بما بين دفتيه من علم أو فن ، لتزداد عنايته بمادته ، ويقوى اهتمامه بها ، ويشتد حنينه إليها كلما بعد عن هذه المادة التي سبق أن تعرف إليها جيداً ، واطلع على أهدافها النبيلة ، ومراميها السامية . وحب الطالب علماً من العلوم ، وتعلقه بمدرس هذا العلم هما مفتاح قلبه ومفتاح فكره لتلقف قواعد هذا العلم وأصوله وفروعه مهما صعبت ودقت ، وبغير هذا الحب لا يطمعن طامع معلماً كان أو أباً في حمل الطالب على

فهم أي علم وهضمه وتمثله أبداً ، حتى يجتاز الامتحانات بأمان واطمئنان .

وإذا بلغ المعلم بطالبه هذه المرحلة عن طريق التشجيع وتنمية ميله إلى مادته التي يدرسها ، انشرح قلب الطالب لهذه المادة ، وانفتح فكره لهذا العلم . وبخطوة أخرى يزداد ميل الطالب ، وتعظم ثقته بأستاذه ويتعلق قلبه به ، فيحبه ويحب من وراء حبه إياه مادته التي يدرسها .

وإذا بلغ الطالب هذه المرحلة عشق هذا العلم وأقبل عليه بنهم ينهل من معينه الثر .

من أجل هذا رأيت أن الحاجة ماسة إلى وضع كتاب في «اللغة العربية» يسد هذا النقص ، ويعتبر بمثابة «المدخل» إلى تعلم ودراسة علومها وفنونها وآدابها. جمعت فيه أبحاثاً أعرف بها الطالب العربي على «اللغة» بشكل علم وعلى «اللغة العربية» بشكل خاص، محاولاً أن أعقد بينه وبين لغته الخالدة آصرة مقدسة ، وأشوقه لتقوية هذه الآصرة لعلها تقوى وتمتد حتى تصبح مودةً ومحبةً دائمةً ، عساها تعظم وتشتد حتى تصبح ولهاً ، وبهذا فقط ووقتئذ يرجى الخير العميم ، والنفع الكبير من وراء هذه الآصرة والمحبة والوله بين « ابن العربية » و « أمه الفصحى » . وما كنت لأنشر هذه الموضوعات لولا إيماني بضرورة ذلك خدمة للغتي التي أحبها وأعتز بخدمتها ، وقياماً بالواجب نحو أبناء أمتي العربية العزيزة . مؤملاً أن ييسر الله تعالى لي إصدار كتابٍ ثانٍ عن «علوم اللغة العربية» يكون صنواً لهذا الكتاب.

وإني لآمل أن يجد فيها محبو اللغة العربية وحماتها فائدة تيسر لهم فهم لغتهم ، وتسهل عليهم دراستها والاطلاع على كنوزها النفيسة ، فإذا بلغت ما وضعته لهم فقد أنجحت وإلا فمبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي إلى سواء السبيل .

حلب ـ ١٧ رمضان سنة ١٣٨٢

١١ شباط سنة ١٩٦٣

محمد بدر الدين ابو صالح

مخطط الكتاب

تمهيـــد

اللغة العربية

مكانة اللغة العربية

أهمية تعلم اللغة العربية

الباب الاول ـ اللغة

تعريف اللغة ـ الغاية من اللغة ـ أهمية تعلم اللغة ـ تأثير اللغة في الأمة خواص اللغـة ـ نشأة اللغة ـ دلالة اللفظ على المعنى في اللغة .

الباب الثاني ـ اللغة العربية

الفصل الاول	خلود اللغة العربية
الفصل الثاني	تاريخ اللغة العربية
الفصل الثالث	فقه اللغـة العربية
الفصل الرابع	دفاع عن اللغة العربية

تمهيد

اللغة العربية

اللغة العربية ـ وتسمى لغة الضاد ، ولغة الاعجاز ، واللغة الفصحى ، واللغة الخالدة ـ هي الكلمات التي كان يعبر بها العرب. ونسبت هذه اللغة إلى العرب لأنها لغتهم التي فتقت عليها أسماعهم ، ودارت عليها رحى بيانهم في التعبير عن أغراضهم .

وقد وصلت إلينا عن طريق النقل ، وحفظها لنا القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وما رواه الثقات من منثور العرب ومنظومهم .

واللغة العربية إحدى اللغات العالمية الحية . ومعلوم أن اللغات كلها مختلفة من حيث اللفظ ، متحدة من حيث المعنى . أي إن المعنى الذي يخالج ضمائر الناس واحد ، ولكن كل قوم يعبرون عنه بلفظ يغاير لفظ الآخرين .

جاء في لسان العرب : أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب « يعرب ابن قحطان » وهو أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة . ونشأ «اسماعيل بن ابراهيم» عليهما السلام معهم فتكلم بلسانهم فهو وأولاده العرب المستعربة ، إلى أن قال : وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها أو نطق بلسان أهلها فهم عرب يمنهم ومعدهم . وإنما سموا عرباً :

١ ـ لأنهم أهل بيان وفصاحة ، واسم العرب مشتق من الاعراب وهو الابانة . يقال : أعرب الرجل عن ضميره : إذا أبان عنه .

٢ ـ أو من « عَرْبَ » العبرانية أي أرض الغروب والظلام .

٣ ـ أو من « عرب » العبرانية بمعنى الخلط والمزج لكونهم شعباً ممزوجاً من نسل قحطان واسماعيل ومديان ومؤاب وعمون وعملاق .

٤ ـ أو من « عَرَبَ » السامية . أي قصد الغرب حين ارتحل العرب عن الوطن الأصلي غرباً .

٥ ـ قال الأزهري : إنهم سموا عرباً باسم بلدهم « العَرَبات »

واللغة العربية إحدى اللغات السامية التي لم تنقرض كما انقرضت أخواتها . استقلت عن غيرها ومرت بأدوار متعددة حتى بلغت مرحلة النضج إلى أن استوت على قدميها شأن كل كائن حي يخضع لقوانين النشوء والنمو والارتقاء كما سيأتي ذلك في أبحاث : نشأة اللغة العربية وأطوار وعوامل نموها .

مكانة اللغة العربية

اللغة العربية لغة تتمتع بمكانة رفيعة بين اللغات الحية في العصر الحاضر ، كما كانت قديماً تحتل مكان الصدارة بين اللغات المشهورة . ينظر إليها العربي عامة والمسلم خاصه بشيء من التقديس والاحترام وينظر إليها الغربي المنصف بشيء من الاعجاب والاكبار .

فالعربية بالنسبة للعربي غير المسلم لغة « آبائه وأجداده وقومه » . وهي ـ فضلاً عن هـذا ـ بالنسبة للعربي المسلم لغة « دينه الحنيف » ، فلقد نزل « القرآن الكريم » « بلسانٍ عربيٍ مبينٍ » (١) ، وهودستور الله الخالد وصراطه المستقيم، وهديه القويم للبشر عامة وللعرب خاصة ، رفع شأن العرب بين الأمم ، وخلد ذكرهم مدى الدهر : « وإنهُ لذكرٌ لكَ ولقومكَ وسوفَ تسألونَ (٢) »

والعربية لغة «الرسول» صلى الله عليه وسلم وبها نقل «حديثه النبوي الشريف» ووردت « سنته المطهرة » .

وبالعربية دونت « حضارتنا العظيمة » ، و « علومنا النافعة » ، و «آدابنا الرفيعة » ، و « فنوننا الجميلة » .

وهي لغة الفصاحة والفخامة والحكمة والقوة والبيان ، وقد قيل : « إذا أردت أن تخاطب كلبك فخاطبه باللغة الألمانية ، وإذا أردت أن تخاطب حصانك فخاطبه باللغة الانكليزية. وإذا أردت أن تخاطب زوجتك فخاطبها باللغة الفرنسية،

(١) سورة الشعراء : ١٩٥
(٢) سورة الزخرف : ٤٤

وإذا أردت أن تخاطب فيلسوفاً أو حكيماً فخاطبه باللغة العربية »

واللغة العربية بين اللغات ذات رصيدٍ كبيرٍ ضخم في « النثر » على مختلف أنواعه ، و « الشعر » على مختلف ضروبه وموضوعاته .

وهذا الرصيد هو في ذاته كنز من كنوز «حضارتنا العربية الاسلامية». وهو في الوقت نفسه متعة ولذة وطرافة ذات عبر وفوائد تغني العقل ، وتنمي الروح، وتهذب النفس ، وتلطف المشاعر والأحاسيس .

إن عالم « الثقافة العربية » وهو « العالم الاسلامي والعربي » هو المجال الحيوي الاجتماعي للأمة العربية والصعيد الانساني المشترك لأممٍ وشعوب كثيرة ؛ وتحتل « اللغة العربية » في هذه المنطقة الثقافية المنزلة الأولى بين اللغات ؛ فهي اللغة المشتركة بين شعوبها ، وتنشئ هذه الثقافة العامة السائدة في هذا العالم الاسلامي روابط فكرية ، واتجاهات شعبية مشتركة ، تكون تقويتها وتوسيع دائرتها سبباً في إيقاظ هذه الشعوب ، وإكمال تحررها واستقلالها وإسقاط الحكام المرتبطين بالأجانب والمستعمرين .(١)

واللغة العربية بشعرها ونثرها وقواعدها ومفرداتها وأساليبها عنصر كبير من عناصر « الثقافة العربية » فهي موضع عناية ودراسة في جميع أقطار الارض ، وخاصة في « الهند وباكستان والأفغان وأندونيسيا » وقد أثرت مفرداتها في جميع لغات الشعوب الاسلامية على تفاوت بينها ، وقد اتخذوا منها أصلاً يستمدون منه مايحتاجون إليه من ألفاظ للتعبير عن المعاني الجديدة ، ففي « الأوردية والفارسية والتركية » ألفاظ عربية كثيرة جداً كما أن كثيراً من هذه الشعوب اتخذت الحروف العربية لكتابة لغتها ، فسهل عليها بذلك تعلم العربية .

---

(١) الأمة العربية في معركة تحقيق الذات للأستاذ « محمد المبارك »

واللغة العربية لغة الخلود والدوام مادامت السماوات والأرض. حفظت بحفظ القرآن الكريم بوعد الله تعالى : « إنّا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنّا لهُ لحافظُونَ »(١) وخدمها المسلمون خدمة للدين القويم وقياماً بالواجب نحو اللغة ونحو الأمة .

ومن المحتم على كل مسلم فخور باسلامه أن يحب الخير للعرب على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث منهم، ولكتاب الله تعالى الذي أنزل بلغتهم ولصحابته الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وكانوا السبب في وصول الهداية إليه .

ومن المحتم على كل عربي فخور بعروبته أن يحب المسلمين لأنهم حماة لغته، وحصن قوميته ، وقد كانت ولا تزال أياديهم بيضاء على اللغة وعلومها ، وعلى الأمة العربية ورجالها ؛ يعرف ذلك من تضلع في العلوم العربية وفنونها ، وقرأ كتب التاريخ وطبقات الرجال . وتمتاز اللغة العربية بابداع كتابة الحروف وتفننها إلى حرف منفصل ، وحرف أول ، وحرف وسط ، وحرف آخر .

واللغات متنوعة؛ منها لغات قومية لا علاقة لها بثقافة ولا دين كاللغة الكردية والأوردية. ومنها لغات دينية لا علاقة لها بثقافة ولا علم كاللغة السريانية والعبرانية، ومنها لغات ثقافية علمية لا علاقه لها بدين كاللغة الفرنسية والانجليزية .

وأما اللغة العربية فهي اللغة الوحيدة التي تعد لغة « الثقافة والعلم والدين » ولذا كان لزاماً على كل مسلم أن يعرف هذه اللغة لمكانتها الدينية والعلمية . فهي لغة الاسلام وأمته التي أضاء نورها فملأ الخافقين ولغة الثقافتين : القديمة والحديثة . فلا ضير أن تعرف لكل مسلم مع لغته القومية إن لم يكن عربياً لأن اختلاف

---

(١) سورة الحجر : ٩

اللغات من آيات الله لقوم يعقلون ، « ومن آياته خلقُ السموات والأرض واختلافُ ألسنتكم وألوانكم » (١)

وإن أبناء الأمة الاسرائيلية تجمعهم اللغة العبرية على اختلاف مواطنهم وتنوع ألسنتهم ، وهي لغة دين فقط فهلا جمعتنا معشر المسلمين لغة القرآن ، لغة الاسلام ، لغة محمد صلى الله عليه وسلم ، لغة الثقافتين .

وإن كثرة اللغات التي تكتب بالحروف العربية دليل على مكانتها العظيمة في قلوب تلك الأمم المنتشرة في آسيا وافريقيا واوروبا .

ففي آسيا وبلاد الهند :

الهندستانيه ـ الداخينية ـ الكشميرية ـ البنجابية ـ السندية ـ التاميلية ـ الأوردية ـ الميالامية ـ الكورازية ـ البلتية ـ الملتانية ـ الأزبكية (تركستان وآسيا المركزية) ـ الجاكاتائية (تركستان الروسية) ـ الكرغيزية (تركستان الصينية وآسيا المركزية الروسية وسيبيريا الغربية) ـ الكشغرية (تركستان الصينية) ـ الجاوية ـ السندانية (جاوة الغربية) ـ المالائية (مالازية والجزر الفيلبية) ـ السولوئية (من الجزر الفيلبية) ـ التركية القديمة ـ الايرانية ـ الاذربيجانية (شمال إيران الغربي) ـ الكردية ـ الأفغانية ـ البالوتشية (جنوب الأفغان) ـ البراهوئية (شرق الأفغان)

وفي أفريقيا :

الهوسائية (نيجيريا وغيرها) ـ الغولية (غينيا) ـ البمبارية ـ السواحلية (أفريقيا الشرقية) ـ الشلحائية (جنوب مراكش) ـ القبائلية (في أنحاء من الجزائر) ـ الفاديجية (في حوض النيل بين در وكرمة) ـ الغنبية (في أفريقيا العربية) .

---

(١) سورة الروم : ٢٢

وفي أوروبا :

القازانية(روسيا الشرقية) ـ النوكائية روسيا الجنوبية)ـالكوموكية (ساحل بحر الخزر).(١)

وقال السر « رونلدستورز » : « وآثار اللسان العربي موجودة في كل لسان تقريباً ، وأعظم ماتكون ظهوراً في اللغة الاسبانية وخصوصاً الأعلام . إن اللغة العربية تأخذك من حدود إيران إلى المحيط الأطلسي مارة في بلدان من أعجب البلدان ، وفي رواق لعله أعظم الأروقة شأناً ، وهذه اللغة من أغنى اللغات ثروة وأدقها ترتيباً وأعظمها رنة وجرساً ، وأوقعها تعبيراً من بين وسائل التفكير التي أفرغت على شفاه الناس . والعرب يفخرون بحق بلغتهم البديعة ولا سيما بالقرآن الكريم الذي بلغت به أوجها ويعده المسلمون والمسيحيون على السواء غاية البلاغة العربية » .

وقد ألف أحد علماء جامعة « هارفردليوونير » كتاباً عنوانه « أفريقيا وكشف أمريكا » أثبت فيه وجود كلمات عربية في كلمات هنود أمريكا ، وقال إنها ترجع إلى عام(١٥٢٠ م) وذلك قبل وصول « كريستوف كولمب » بقرنين. ولم تزل بقايا العرب في جزائر مدغشقر وفيليبين .

وفي برقيات الصحافة المتحدة سنة (١٣٤٨ هـ) عن «تكستلاخواتمارز»في ولاية « تشياباس المكسيكية » أن عدداً من تجار الأتراك عادوا أمس إلى تلك المدينة من مقاطعة « سيموجوفل » فأنبأوا الناس بأنهم عثروا على قبيلة عربية تتكلم العربية وهي تقطن منطقةً جبليةً صعبة المرتقى واسمها « ابسولوطان » ولا تزال محافظة على عاداتها الشرقية ، ولاتحسن التكلم بالاسبانية ولا بأي لهجة من من اللهجات الهندية وليس في حياتها للثقافة الاسبانية الكثيرة الشيوع في أنحاء مقاطعه « تشياباس » أثر ، وقد حادث التجار المتجولون أفراد القبيلة فذكروا لهم أنهم يقطنون تلك الناحية منذ أكثر من أربعمئة سنة ، وأنهم لايزالون في عزلة عن العالم ولم يمتزجوا بمن حولهم .

(١) اللغة الخالدة للأستاذ « أمين الله عيروض » .

أهمية تعلم اللغة العربية

سبق أن قلنا : إن اللغة بالنسبة للعربي غير المسلم لغة آبائه وأجداده وقومه وهي ـ فضلاً عن هذا ـ بالنسبة للعربي المسلم لغة دينه الحنيف، وكل منهما ينظر إلى اللغة العربية بشيء من التقديس والاحترام لأنها لغته القومية ولغة وطنه، وبها دونت حضارة أمته العربية العظيمة.

ومن هنا كان تعلمها والعناية بها والدفاع عنها بالنسبة للعربي غير المسلم واجباً قومياً ووطنياً وحضارياً . وبالنسبة للعربي المسلم ـ فضلاً عن هذا كله ـ واجباً دينياً . وكان الجهل بها وإهمال شأنها وتركها لاعدائها يمزقونها ويلوثون شرفها خيانةً وجنايةً في حق الأمة العربية والوطن العربي والحضارة العربية بالنسبة للعربي غير المسلم . وذلك كله خيانة وجناية أيضاً في حق الاسلام والمسلمين والعروبة والعرب والوطن العربي الاسلامي ، والحضارة العربية الاسلامية بالنسبة للعربي المسلم. وكيف لا ؟ وقد نزل القرآن « بلسانٍ عربيٍ مبينٍ » (١) على قلب « رسول عربي كريم »

وبها نقل « حديثه النبوي الشريف » ووردت « سنته المطهرة » هدياً إلهياً وشرعة سماوية ، لانباء الغبراء عامه رحمة بهم، ولسكان الجزيرة العربية خاصة رفعاً لشأنهم بين الشعوب ، وإحياءً لذكرهم على الأيام « وإنه لذكرٌ لكَ ولقومِكَ وسوفَ تُسألونَ » (٢) .

(١) سورة الشعراء : ١٩٥ . (٢) سورة الزخرف : ٤٤ .

ومن هنا كان للعربية في نظر المسلم موقع عظيم من الاعتبار ، لان الاسلام وإن لم يجعلها من شعائره فيأمر المسلم بالتزامها في سائر خطاباته إلا أنه استحب له تلاوة « القرآن الكريم » والتدبر في معانيه لمعرفة وجوه إعجازه واستخراج عبره ، والاستضاءة بأنوار هديه ، لأن غيره من كتب الحكمة والارشاد ليس لقولها سلطان يؤثر على النفوس ، ويعمل عمل « القرآن الحكيم » في تطهيرها عما يعرض لهـــا من الوساوس ، وفي هدايتها الى محاسن الأخلاق ؛ ولا سبيل إلى التدبر في آياته ، وإدراك بلاغته إلا بتعلم « اللغة العربية ».

ولما علم المحققون أن استنباط الأحكام التفصيلية عنـد الحاجة إليها يجب أن يقوم به طائفة من الأمة ، والاحكام إنما تؤخذ من « القرآن العظـــيم » و « سنة الرسول الكريم » ﷺ وكلاهما وارد بلسان العرب عدّوا من « فروض الكفاية » التبحر في معرفة العربية ، وهذا وجـه نسبتها إلى « الاسلام » ، وهو الحصن الذي يتكفل بحفظها وبقائها ما بقي دينه القويم .

واذا كانت العربية «راوية» تتلقى منها علوم الدين ، و«بريداً» يحمل إلينـا علوم الدنيا ، فمن حقوقها علينا أن نصرف الهمـة في سبيل تعلمها وإصلاحها ، ونعدل ألسنة الناشئين بآثارها الصحيحة « إن الله لا يضيع أجر المحسنين » (١) .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (٢) إن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فان فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٢

(٢) ابن تيمية : تقي الدين احمد (١٢٦٣ـ١٣٢٨م) ولد في حران قرب دمشق ، فقيه حنبلي ٧٢٨ هـ
أتقن القرآن والحـــديث والفقه والـكلام وسلك على سنة الاقدمين ، له كتب كثيرة أهمها: (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية).

واجبنا نحو اللغة العربية

من أجل كل ما تقدم يجب على الطالب العربي والمسلم بخاصة أن يعنى العناية الكبرى بدراسة « اللغة العربية » ويبذل قصارى جهده في سبيل تعلمها وإتقانها قراءةً وكتابةً لتكون العربية أحب المواد والعلوم إلى قلبه وعقله .

واللغة فضلاً عن هاتيك الدوافع عنصر من عناصر الحضارة في الامم لها أثر كبير في «عقيدة الأمة وعبادتها وأحكام شريعتها وقوميتها ووطنيتها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها» كما سيأتي بيان ذلك في بحثي « تأثير اللغة في الأمة » و «أثر التعريب عبر العصور في اللغة العربية » .

ولا يغربن عن بالنا أن « واجب الدرس والتحصيل المدرسي » يدفعنا إلى الاهتمام بالعربية والعناية بها ، إذ أن هذا الاهتمام وتلك العناية هما سبيل نجاح الطالب في تحصيله العلم والمعرفة للارتقاء إلى الصف الأعلى .

وإن من الجناية في حق الأمة على أبنائها أن يعرض طلاب العلم ورواد الثقافة عن العناية بلغتهم القومية ، وتخصيص أكبر وقت لتعلمها ، والاغتراف من ينبوعها الثر ، والتفكه بثمارها الشهية .

ولقد أولت حكوماتنا الوطنية « اللغة العربية » كل اهتمام ـ والحمد لله ـ اعتقاداً منها بأنها السبيل لبعث أمة العرب من جديد، وتوحيد كلمتهم وجمع شتاتهم وتقويم صفهم المعوج .

فاشترطت « وزارة التربية والتعليم » لنجاح الطالب من صف إلى آخر ان ينال علاماتٍ جيدةً في «اللغة العربية» ، وجعلت للعربية ميزة فوق كل المواد .

ونعم ما فعلت فاستحقت بهذا الصنيع شكر الامة ورجال العلم ، وقطعت بذلك الطريق على خيانة بعض المواطنين لواجبهم تجاه لغتهم القومية اذ لايهمهم أن يتعلم أبناؤهم لغتهم القومية ، ويؤثرون عليها لغةاجنبية يتلقنها أبناؤهم فيمدارس أجنبية .

إن أمثال هؤلاء المواطنين يعملون المعاول هدماً في كيان الأمة من حيث يشعرون أو لا يشعرون بعامل الجهـــل أو عامل الطمع الدنيوي وحب المادة . وهذه « لغتنا العربية » أمنا الرؤوم تبكي بدموع حرّى وتندب حظها من أبنائها وتشكو عقوقهم لها باعراضهم عنها على لسان شاعر النيل « حافظ ابراهيم »(١) رحمه الله في قصيدته الصادقة الجميلة :

أيهجرني قومي - عفا الله عنهم - إلى لغـة لم تتصـل برواة !
سرت لوثةُ الأعجام فيها كما سري لعابُ الأفاعي في مسيل فرات

بعد أن قصت قصتها مع أبنائها قائلة :

رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حصاتي ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رمـوني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عُداتي
وَلدت ولما لم أجـد لعـرائسي رجالاً وأكفاءً ، وأدت بناتي
وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آي به وعظات
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصف آلةٍ وتنسيقِ أسـماء لمخـترعات؟!

ثم تقول مفتخرة بنفسها معتزة بكنوزها :

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟

---

(١) : « حافظ ابراهيم » ولد حوالي (١٨٨٢ ـ ١٩٣٢) م وتعلم في المدرسة الحربية ثم تخرج ملازماً وسافر الى السودان . ثم احيل الى التقاعد ثم عين رئيساً للقسم لأول بـــدار الـكتب المصرية. طبع شعره في ديوان باسمه .
وكان حافظ شاعراً جيد الأسلوب، قوي اللفظ موفقاً في الاجتماعيات، ،ملهباً للشعور الوطني بما ينشيء من قصائد سياسية .

ثم تترحم على أبنائها وتشكو منهم عقوقهم وهوانها عليهم :

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ومنكم وإن عز الدواء أساتي!

الى آخر القصيدة التي تفيض بالشكوى والتي عبر فيها « حافظ » أصدق تعبير عن حال اللغة العربية ، وما آلت اليه من إهمال وإعراض جعلها في مؤخرة اهتمامهم .

فهل يجوز بعد هذا كله ، ونحن نرى أبناء الأمم الأخرى يتعصبون للغاتهم ويفخرون بانتمائهم اليها والتحدث بها ، ويبذلون كل غال ونفيس في سبيل نشرها أن نهمل شأن لغتنا ، ونعرض عن تعلمها ودراستها ، والدفاع عنها ؟ !

وهل يجوز أن نتركها للشعوبيين أعداء العروبة والاسلام يمزقونها ويبددونها وهي حية ؟!

وقد كان الآباء والاجداد يبذلون أرواحهم في الدفاع عنها . وما أعظم موقف الامام « الزمخشري[1] » من العرب والعربية وعظيم تعصبه لهما على الرغم من فارسيته أو من طورانيته ، وحمله على الشعوبية وتحديها ، فهو في خطبة كتابه « المفصل »[2] نراه يحمد الله على تعصبه للعرب ويتبرأ من الشعوبيين :

---

(١) الزمخشري : هو ابوالقاسم محمد بن عمر الزمخشري (٤٦٧ـ٥٣٨هـ)و(١٠٧٥ـ١١٤٤ م) العالم اللغوي الشاعر النحوي صاحب التفسير المسمى « الكشاف عن حقائق التنزيل » ذكر له ياقوت نحواً من خمسين مؤلفاً في شتى العلوم .

سموه(جار الله) لأنه جاور مكة .وله كتاب « أطواق الذهب في المواعظ والخطب» وكتاب « أساس البلاغة » .

(١) المفصل : من امهات كتب النحو ومنظوماته . نظمه الزمخشري في (٤٢٤) بيتاً واختصره في كتاب أسماه « الأنموذج في النحو » .

وشرحه في كتاب ثالث « شرح المفصل » وكتب حاشية عليه في كتاب رابع،وشرحه كثير من علماء العربية ، كما نظمه واختصره آخرون .

وبلغ من تعظيم قدر هذا الكتاب أن شرط المعلم المعظم « عيسى الأيوبي » بن(الملك العادل) صاحب دمشق (٦٢٤هـ)لمن يحفظه (١٠٠) دينار وخلعة وكان المستشرقون السباقين الى طبع الكتاب (١٨٧٩) وترجموه الى الألمانية (١٨٧٣) .

« الله أحمدُ على أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية لهم ، وأبى لي أن انفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوي الى لفيف الشعوبيين وأنحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين، والمشق بأسنة الطاعنين ».

كما نراه يدافع عن اللغة العربية ويتهم الذين يغضون من قدرها :

« ولعل الذين يغضون من العربية ، ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه ، لا يبعدون عن الشعوبية منابذةً للحق الأبلج الواضح ، وزيغاً عن سواء المنهج والذي يقضي منه العجب حالُ هؤلاء في قلة إنصافهم ، وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الاسلامية : فقهها وكلامها ، وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره الى العربية بيّن لا يدفع ومكشوف لا يتقنع »

ومن أراد متابعة حملة « جارالله الزمخشري » على الشعوبيين لغضهم من قدر اللغة العربية ، ونهيهم عن تعلمها وتعليمها فليقرأ هذه المقدمة المملوءة حماسة للعرب والعربية .

فاللغة العربية لغة الاسلام والعرب ، وهي لغة الرسول ﷺ ولغة صحابته رضي الله عنهم وأمته المهدية التي أضاء نورها فملأ الخافقين ، ولغة الثقافة العربية الاسلامية .

ومن أحب الاسلام والعرب كان لزاماً عليه ان يحب اللغة العربية ، ومن اضطلع ببعض العبء في سبيل العربية فقد وضع لبنة صالحة في بناء صرح الأمة ، ومن يمدد بسبب من أسبابها فقد أسدى الى العروبة يداً بيضاء لا تجحد .

وخير ما اختتم به هذا التمهيد قول « ابي منصور الثعالبي (١) » شيخ ادباء عصره في مقدمة كتابه النفيس « فقه اللغة وسر العربية » :

« إن من أحب الله أحب رسوله المصطفى ﷺ ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب (٢) ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته اليها »

---

(١) الثعالبي : هو ابو منصور عبدالملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠-٤٢٩هـ - ٩٦١-١٠٣٧م) جاء في (دائرة المعارف للبستاني): ولا يخفى ان الثعالبي كان من أشهر أئمة العربية ، بارعاً في سائر الفنون ، كثير الاطلاع ، غزير المادة ، شاعراً ، ناثراً ، فصيحاً ، اديباً ، رقيق العبارة ، دقيق المعاني ، كثير النادرة ، وافر الفاكهة، بلغت مؤلفاته (٣٨) مؤلفاً اعظمها : « يتيمة الدهر » في الادب و « سحر البلاغة وسر البراعة » وهو معرض للجمل الالشائية وصنوه « فقه اللغة وسر العربية » وكلاهما لا يستغني عنهما أديب . و « خاص الخاص » و « لطائف المعارف » . وغير ذلك مما ذكر في مقدمة كتابه « سحر البلاغة »

(٢) لقد جاءت أحاديث نبوية كثيرة في الحض على حب العرب لفضلهم وشرفهم ، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

١) « إذا ذَلَّتْ العربُ ذلَّ الاسلامُ » (حديث صحيح رواه جابر وأشار الى صحته السيوطي في الجامع الصغير عن جابر بن عبد الله بسند حسن)

٢) « من أحبَ العربَ فبحبي أحبهم ، ومن أبغضَ العربَ فببغضي أبغضهم » (من حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنه)

٣ً) « يا سلمانُ لا تبغضني فتفارقَ دينَك ،قلتُ يا رسولَ الله كيفَ أبغضكَ وبك هداني الله ؟! قالَ : تُبغضُ العربَ فتبغضَني »
(رواه الترمذي عن سلمان رضي الله عنه بسند حسن غريب)

٤ً) «من غشَّ العرَب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي »
(رواه احمد والترمذي عن عثمان رضي الله عنه وقال الترمذي : هذا حديث غريب)

٥ً) «أحبوا العرب لثلاثٍ : لاني عربي ، والقرآنَ عربي ، و كلامَ اهل الجنة عربي » .
(رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وآخرون عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً بسند فيه ضعف ، وقال الحافظ السلَفي : هذا حديث حسن اهـ.وصححه السيوطي في جامعه وقال المناوي في شرحه على الجامع الصغير :وهذا الحديث وإن كان معناه صحيحاً فأكثر المحدثين على أنه موضع وقيل ضعيف).

٦ً) «إنَّ الله اصطفى كنانةَ من بني اسماعيلَ واصطفى من بني كنانةَ قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشمَ ، واصطفاني من بني هاشمَ » .
(رواه مسلم والترمذي)

٧ً) «أحبَّ العربَ من قلبكَ »(صححه السيوطي في جامعه عن ابي هريرة رضي الله عنه) .

٨ً)« أحبوا العربَ وبقاءَهم ، فان بقاءَهم نورٌ في الاسلامِ ، وإنَّ فناءَهم فناء في الاسلام ». (رواه ابو الشيخ بسند ضعيف) .

٩ً) «لا يُبغضُ العربَ الا منافقٌ »(رواه عبدالله بن احمد في مسند أبية عن علي رضي الله عنه)

١٠ً) «حبُ العرب إيمان وبغضُهم نفاقٌ) (رواه الدارقطني عن ابن عمر رضي الله

عنها والحاكم عن انس رضي الله عنه بسند صحيح وضعيف).

١١) (حبُّ قريشٍ إيمانٌ ، وبغضهم كفرٌ ، وحبُّ العربِ إيمانٌ ، وبغضهُم كفرٌ ،فمن أحبَّ العرب فقدأحبني ، ومن أبغضَ العربَ فقد أبغضني) (رواه الطبراني في الاوسط عن أنس رضي الله عنه) .

١٢) «أحبوا قريشاً فانه من أحبهم أحبه الله » (رواه الطبراني عن سهل بن سعد بسند ضعيف) .

قال المحدث «العجلوني » في كتابه « كشف الخفاء » :

« وقد وردت أخبار كثيرة في حب العرب يصير الحديث بمجموعها حسناً ، وقد أفردها بالتأليف جماعة منهم « الحافظ العراقي » في كتابه : القُرَب في فضل العرب » .

قال شيخ الاسلام « ابن تيمية » في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة أصحاب الجحيم ».

« واعلم أن الأحاديث في فضل قريش ثم فضل بني هاشم فيها كثرة وليس هذا موضعها ، وهي تدل أيضاً على ذلك اذ نسبة قريش الى العرب كنسبة العرب الى الناس ، وهكذا جاءت الشريعة كما سنومىء الى بعضه ، فان الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها ثم خص قريشاً على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغير ذلك من الخصائص ثم خص بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء الى غير ذلك من الخصائص فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها والله عليم حكيم»

(اللهُ يصطفي من الملائكةِ رسلاً ومنَ الناسَ (١) و«اللهُ أعلمُ حيث يجعلُ رسالته(٢)»و«لقـــدجاءكم رسولٌ من انفسكمْ عزيزعليهِ ماعنتمْ حريصٌ عليكمْ .

---

(١) سورة الحج : ٧٤

(٢) سورة الانعام : ١٢٤

بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيمٌ (١) «وإنهُ لذكرٌ لكَ ولقومكَ وسوف تسألون(٢)» .

ثم يقول بعد كلام طويل : «وسبب هذا الفضل والله أعلم ما اختص به العرب في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم . وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح . والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذي هو الحفظ والفهم ، وتمام قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة ؛ والعرب هم أفهم من غيرهم وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة ؛ ولسانهم أتم الألسنة بياناً وتمييزاً للمعاني جمعاً وفرقاً يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع ، ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين للفظ آخر مميز مختصر كما نجده في لغتهم من جنس الحيوان فانهم مثلاً يعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارات جامعة ثم يميزون بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره من الأصوات والأولاد والمساكن والأظفار الى غير ذلك من خصائص «اللسان العربي» التي لا يستراب فيها».

---

(١) سورة التوبة : ١٢٧

(٢) سورة الزخرف : ٤٤

الباب الاول

اللغة

تعريف اللغة .....

الغاية من اللغة .....

أهمية تعلم اللغة .....

تأثير اللغة في الأمة .....

خواص اللغة .....

نشأة اللغة .....

دلالة اللفظ على المعنى في اللغة .....

تعريف اللغة

اللسان او اللغة كما قال ابن جني (١) « أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم » وهي مزية عرف بها الانسان ، وما من امة إلا ولها لسان تعبر به عن حاجاتها، وقد حاول بعض الباحثين أن يثبت من تركيب أدمغة اشخاص عاشوا في القرون الخالية أنهم كانوا محرومين من هذه المزية ، فلم يستطع أن يقيم على ما يقوله دليلاً تام المقدمات صحيح الانتاج ، كما أنه لم يستطع أن يثبت لغير الانسان من الحيوان لغة تخاطب ، وفي « دائرة المعارف الانكليزية » أن هذه المسألة لا تزال تحت البحث . «والصوت » هو « مايسمعه الانسان بدون أن يكون له تقيد بحرف أو أن يكون له معنى »

«واللفظ » في الاصل : « الرمي » وهو بمعنى « ملفوظ » كخلق بمعنى « مخلوق » فان كان اللفظ مفرداً سمي « كلمة » وإن كان مركباً سمي « جملة » واللغة في شكليها : الملفوظ والمكتوب أداة فطرية تمر بها الأشياء الى الذهن وهذه الأشياء الخارجية التي تقعُ حواسنا عليها تعبر عن طريق اللغة الى أذهاننا وهي جسر تعبر عليه الفكرة من الذهن الى الخارج . فكل ما تموج به الدنيا من مشاكل وصور الطبيعة أو المجتمع ينتقل بصورة دقيقة إلى الذهن بواسطة الحس بطريقة الكتابة أو اللفظ أوغير ذلك وكذلك كل مافي الذهن من خواطر ومشاعر ينتقل بطريق

---

(١) ابن جنى :هو ابو الفتح عثمان بن جني(٣٣٠ـ٣٩٢) هـ ولد في الموصل فيلسوف (٩٣٢ـ١٠٠٢) م

ولغوي ونحوي يعتبر حجة في التصريف، منهجه وسط بين مدرستي الكوفة والبصرة،وهو أحد أعلام العربية . له كتاب « الخصائص » « وسر الصناعة وأسرار البلاغة » و « شرح اشعار الهذليين » و « شرح ديوان المتنبي » وهو صديق المتنبي .

اللغة إلى الآخرين . وينتقل من عصر إلى عصر ، ومن جيل إلى جيل فاللغة إذاً « حلقة الصلة في الحياة بين الأُمم على مختلف العصور » والفكرة تسبق وجود الأشياء وتلحقها أحياناً ولهذا كانت الكلمة « كن » رمز الخلق والايجاد « إنما أمرُه إذا اراد شيئاً أن يقول له : « كن » فيكون »[1] ولهذا كان الكلام في السالف أداة السحر وفي الحديث الشريف : « إن منَ البيان لسحراً »[2]

وقديماً وفق الشاعر الجاهلي « زهير بن ابي سُلمى »[3] إذ جعل الكلامَ نصف حياة الانسان :

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ فلم يبق الا صورةُ اللحمِ والدم(٤)

وكما يقول أحد مفكري العصر :
« اليد واللسان هما الأداتان اللتان كانتا السبب في تقدم البشرية » .

---

(١) : سورة يس :٨٢ .
(٢) حديث صحيح رواه مالك في الموطأ .
(٣) : أحد فحول شعراء الجاهلية وهم: امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى ثم هو اعفهم قولاً واكثرهم تهذيباً لشعره . له ديوان شعر كثير منه في مدح (هرم بن سنان الذبياني المرى) ومنها معلقته التي مطلعها :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

مات زهير قبل مبعث النبي صلي الله عليه وسلم بسنة . وهو والد كعب صاحب قصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

في مدح الرسول صلي الله عليه وسلم .
(٤) من أمالي ومحاضرات الأستاذ (محمد المبارك) الجامعية بتصرف .

الغاية من اللغة

اللغة كاصطلاح خرجت من المعبد(١) الى السوق الى الحياة العامة وأصبحت تعمل فيها كعنصر من عناصر التفاخر. هي واسطة التفاهم وسبيل النجاح في التعبير عما تجيش به صدور الناس .

والغاية منها أن يسجل الانسان خواطره وآراءه ومذكراته ، كمواطن له حرية الكلام وإبداء الرأي ، وأن يفهم خواطر غيره ليشارك أمته في العواطف ، ويشترك في التفكير ، فهو في ركب يسير ، له رأيه ، وله سهمه في الوطن والحياة ولا ينجح الركب إذا اعتل بعض أفراده ، أو تخلف بعضهم .

---

(١) يقول الاستاذ (محمد المبارك) في أماليه ومحاضراته التي القاها على طلاب كلية الشريعة بجامعة دمشق :

« الكلمة كظاهرة اجتماعية نظر اليها قديماً نظرة مقدسة فقدماء المصريين اعتقدوا ان للكلمة إلها هو (توت) وهكذا اعتقد كل شعب أن للكلمة الهاً وعنه صدرت الكلمة ومن هنا أصبحت اللغة توقيفاً ووحيا لأنها من عند الله ولما كانت الكلمه مقدسة أصبح نطق الانسان بها محوطاً بالعناية . والكلمة كشيء مقدس لم تعط الانسان فرصة ليتصرف فيها فلم يستطع ان يغير حركتها ويتصرف في معانيها وظلت الحال على ذلك حتى صححت العقائد الوثنية المنحرفة فبعد ان كان يعتقد الانسان بتعدد الآلهة أخذ ينظر الى الله ككائن في ذاته أي ظهرت فكرة (وحدة الوجود) فأصبحت الكلمة في المسيحية عندما قال المسيح عليه السلام: (أنا الكلمة والكلمة انا) وهكذا خرجت الكلمة من قدسيتها كعمل من أعمال الآلهة وأصبحت من صنع البشر وبعد أن كانت اللغة توقيفاً أصبحت تواطؤاً واصطلاحاً وهنا نجد الأدوار التي مرت بها اللغة وهكذا أخذ الانسان يكيف الكلمة كما تقضي الحاجة وأصبحت الكلمة بضاعة تصدر وتستورد من قطر لآخر بواسطة الأجرومية التي هي أدوات تصب فيها الكلمة ومن هنا نشأ علم النحو بجعل اللغة سهلة التناول»

اهمية تعلم اللغة

اللغة التي نتكلمها ونسمعها ونكتبها كثيراً ما نغفل عن قيمتها وأهميتها في الحياة . فاللغة لا تقتصر على أن تكون أداة نقل وتسجيل للحياة والافكار كما أسلفت بل ساعدت وتساعد على رقي الفكر ورقي الحياة ، فهل كان بالامكان ان يرتفع الانسان من الواقع الجزئي « كشجرة معينة » يراها الى المفهوم العام ؟ والى المعقول الكلي وهو مثلا « النبات » لولا اللغة ؟

أليست هذه الالفاظ المجردةالتي نستعملها « كالانسان ـ البشرية ـ الحرية ـ العلم) أشبه بالرموز الرياضية ؟ أليست هذه الكلمات أشبه بالنقود التي يرمز بها الى القيم ؟ ثم ألم تكن تلك الرموز الرياضية والاقتصادية وسيلة للرقي ؟(١)

وكذلك اللغة فهي لم تقتصر على كونها معبرة عن التفكـــير بل كانت كذلك أداة نموه وارتقائه .

وان دراسة اللغة هي جزء من وطنية المواطن وميراثه في الحفـــاظ على «قوميته وعرضه ودينه وديارة ، وبها يدرك أمجاده ويحامى عن تراثه ، وماخلف له الاجداد من شرف وتاريخ» ،فباللغة يقرأ ويفهم ، وبدونها يضيع كل شيء.

وان الجندي الذي يحمي حدود الوطن ويذود عن حماه لا يفضل العالم أو طالب العلم في الدفاع عن وطنه ، فالتمسك باللغة كالحفاظ على الحدود ، ومن هنا قالوا : « اللغة هى الوطن وهي الاستقلال وهي الدين »

وإن واقع الحياة وضروراتها تدعو الي تعلم كل فرد مثقف عدة لغـات بله لغته الاصلية وفي الحـكـم : «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم » وطالما كان الرسول

(١) هذه الاسئلة من أمالي ومحاضرات الاستاذ (محمد المبارك) الجامعية .

ﷺ يحث «زيد بن ثابت» احد اصحابه الاجلاء رضي الله عنهم على تعلم اللغات الاعجمية (١) لضرورة ذلك واهميته في السلم والحرب ، وذلك لنشر الدعـــوة الاسلامية بين اولئك الاعاجم ، وللقيام بترجمـــة رسائل ملوكهم وفهم مراد مبعوثيهم وترجمة خطاباتهم وخطبهم ؛ وكشف اسرارهم ونواياهم لايكون الا بمعرفة لغتهم لاحباط مسعاهم وأمن مكرهم ودفع اذاهم، ومما لاسبيل للشبهة فيه ان الشخص الذي يحل بين أقوام يجهل لغتهم يبقى منفرداً عن جماعتهم غـــير معدود في زمرتهم ، وتتوعر أمامه الطرق الموصلة الى انخراطـــه في سلكهم ، وتبادل المنافع معهم ، فاذا تعلم من لسانهم مايطلع به على آدابهم وعوائدهم ومعارفهم انعقدت بينه وبينهم صلة التعارف والمعاشرة ، واصبح عضواً متصلا بهم ، عاملا في هيئة مجتمعهم . هذا ما ينشأ عن مجرد حفظ اللغة فاذا ادرك من تلك اللغة فصاحةً ورونقاً ، ورأى تلك الآداب والعوائد والمعارف قائمة على أساس الحكمـــة ، واستحسان العقل الصحيح ، ترقى فوق ذلك الى مكان التقرب منهم بفؤاده ، والتحم معهم بجامع التحابب التحام الانامل بالراحة .

وربما ينتقل الانسان الى بلد لا يعرف لغة أهلها فيوقعه سوء التفاهم مع أولى القوة منها في خطرٍ لا يجد للخلاص منه طريقاً .

---

(١) جاء في كتاب (التراتيب الادارية) للعلامة الشيخ «عبدالحي الكتاني» :

في الأحكام الصغري عن(زيد بن ثابت) قال . قال(رسول الله) صلى الله عليه وسلم: «إنه تأتيني كتب من أناس لا أحب ان يقرأهن كل واحد فهل تستطيع ان تتعلم السريانية؟ قال: قلت: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً» .

وفي صحيح(البخاري)عد(زيد بن ثابت)ان(رسول الله)صلى الله عليه وسلم قال له.تعلم كتاب اليهود فاني ما آمن يهودياً على كتابه.فتعلمته في نصف شهر حتى كتبت له الى يهود « وأقرأته اذا كتبوا اليه» .

وفي العمدة للمساني(زيد بن ثابت الأنصاري البخاري) كان يكتب للملوك ويجيب بحضرة(النبي) صلى الله عليه وسلم وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من اهل هـــذه الألسن .

روى أن « زيد بن عبد الله بن دارم الحجازي » دخل على ملك حمير في مدينة « ظفار » وهو جالس على مكان مرتفع ، فقال له الملك : ثب اي اجلس في لسان حمير ومعناها في لسان أهل الحجاز اقفز ففهمها الاعرابي على مقتضى لغته ، وقفز فتكسر واندقت رجلاه ، فسأل الملك عنه فأخبر بلغة أهل الحجاز فقال : ليس عندنا عربيت (أراد عربية لكنه وقف على هاء التأنيث بالتاء وكذلك لغتهم) من دخل ظفار حمّر ، وفي رواية : أما علم أن من دخل ظفار حمّر أي تعلم اللغة الحميرية .

ولا نفهم من هذا أن استحسان تعلم الوارد على البلد لغة أهلها يختص بالضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن حقوقه ، بل إذا كانت القوة والسلطة للوافد عليهم تأكد في حقه أيضاً بموجب فضيلة العدل أن يتعلم لغة المحكومين لئلا يفضي به سوء التفاهم معهم الى خطيئة ظلمهم والقضاء عليهم بغير مايستحقونه . قال الشيخ « عبد الحي الكتاني » في كتابه « نظام الحكومة النبوية » المسمى « التراتيب الادارية » :

« وما ورد من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن التكلم برطانة العجم » كان لمن في المسجد لافي غيره أو حتى في غيره بالنسبة لمن لم تدعه لها ضرورة أو كان تعلمه للغة الاجنبية مع ازدرائه للغته وآدابها وعلومها .

هذا مع اعترافنا اليوم بأن لغات العجم صارت اليوم مفتاح العلوم الكونية التي اصبحت ضرورية لمجاراة العجم والترقي بين الامم ، وصارت ايضاً مفتاحاً للتعارف الذي اصبح ضرورياً للعيش وأمن الانسان على حقوقه حين الاختلاط ».

تأثير اللغة في الامة

لن تتقدم أمة في معارج النهضة والرقي الا بوسيلة لغتها ، وعلى قدر ما تحتفظ بلغتها ترتقي في حياتها الأدبية والعلمية والفنية ، فمثل اللغة مع حال الأمة كالمثاقيل التي توضع في مقابلة الموزون فبحساب ما ينقص من اللغة ينزل مايقابلها من حال الأمة إلى درك الشقاء إذ لا يؤثر على احساسهم في تذكيرهم بمجد الآباء أو يهيج بعواطفهم إلا الاتحاد ، والأخذ بوسائل السعادة غير لغتهم الراقية .

فاللغة بهذا عنصر من عناصر الحضارة في الامم لها اثر كبير في «دين كل أمة وقوميتها ووطنيتها وعاداتها وتقاليدها وافكارها واخلاقها» لهذا نرى المستعمر الدخيل يسعى جهده لابعاد الأمة عن لغتها بشتى السبل والوسائل ، من نشر لغته بعد تشكيك أبناء الأمة المستضعفة بمزايا لغتهم لقطع الصلة بينهم وبينها ثم يضرب ضربته القاصمة ، ويفعل فعلته النكراء من تمزيق شمل الأمة والسيطرة عليها واستعبادها بالقضاء على لغتها ، فاذا فعل ذلك قضى على « دين الامة وقوميتها ووطنيتها وعاداتها وتقاليدها وافكارها وأخلاقها».

ومن هنا كان التوافق في اللغة مما يزيد العلائق التي تؤلف الناس في نظم الاتحاد قوة ووثوقاً ، ولهذا نرى الداعي الى الوحدة الوطنية يسعى في تعليم لغة الوطن وتعميم نشرها حتى تكون هي اللغه الجارية في خطاباتهم وتحريراتهم على وجه الصحة لا يعدلون الى التفاهم بغيره الا عند الحاجة ، ومتى اهملت الامة لغتها وزهدت في تعلمها انفصمت عرى جامعتها لا محالة ، وتفرقوا أيدي سبأ ، فاذا قام مناد يدعو أمة إلى نبذ لغتها وأن تستبدل بها لغة أخرى فانما يريد انقسام وحدتها واخراجها من صبغة جنسها . لأن اللغة أكبر عامل يوحد الأمة ويكتل قواها

وخاصة حين تذوب اللهجات المحلية ، ويعدل عن التخاطب بالعامية المتباينة الى العربية الفصحى كما في لغتنا .

هذا اثر اللغة في قومية كل امة وعنصريتها .

وأما أثر اللغة في الوطنية : فهي تعلم المواطن الاخلاص لوطنه اذ ترتبطه بتربة ذلك الوطن ، وتحمله على التحدث بلغة هذا الوطن الذي يعيش في ظلاله ويتغذي بخيراته ، فاذا تحدث بلغة وطنه احبها لانها جزء من مقومات حياته ووسائل عيشه ، واذا احبها تعلمها قراءة وكتابة ، وربما درس علومها وآدابها وفنونها ثم لقنها ابناءه واحفاده .

وهنا يبدو واجب الحكومات في نشر لغتها، وتيسير تعلمها على المواطنين بل الزامهم بذلك ، وبذلك تقطع الطريق على بعض الخونة والمارقين من اعداء الوطن ، أبناء العناصر الاجنبية والاقليات الدخيلة في ادعاء حقهم بالحفاظ على لغتهم الاصلية على حساب لغة الوطن واستقلاله وكرامته .

وأما أثر اللغة في الدين : فهي تساعد على صون العقائد وتصحيح العبادات اذ هي السبيل لتعلم احكام الشريعة وعقائدها وعباداتها . وبمقدار ما يتقن المسلم اللغة العربية يستطيع أن يفهم أصول دينه ونصوصه في « القرآن الكريم » وتفسيره « والسنة المطهرة » وشرحها ، والفقه ومصطلحاته ، والتوحيد ومدلولاته .

وأما أثر اللغة في العادات والتقاليد والافكار والاخلاق : فان كلمة واحدة تؤثر في الجماهير حين تنقل اليهم آثار الاجيال السابقة وعاداتهم وأخلاقهم وآراءهم في المدارس والمساجد والمنازل والمحاكم والاسواق ، فتنبه الامة الى الحفاظ على عادات الآباء والاجداد وتقاليدهم وأخلاقهم وأفكارهم .

والعبرة في ذلك ببلاد الاندلس ، فان من أسباب سقوطها ونزع أيدي المسلمين من ولايتها ضعف اللغة العربية عندهم ومسخ صورتها بما خالطها من الكلمات والاساليب التي لا تطابق وضعها ولا تحتملها طبيعته .

خواص اللغة

تتوافر في اللغة خواص ثلاث على اكمل ما يكون :

١ ـ فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد في اتباعه ، ويتخذونه أساساً للتعبير عما يجول بخواطرهم ، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض .

٢ ـ واللغة ليست من الامور التي يصنعها فرد معين او أفراد معينون ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتنبعث عن الحياة الجمعية ، وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر ، وتبادل للافكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاماً لغوياً يسير عليه مجتمعه فيتلقاه عنه تلقياً بطريق التعلم والتقليد ، كما يتلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الاخرى ، ويصب أصواته في قوالب ، ويجتذيه في تفاهمه وتعبيره .

٣ ـ واللغة من الامور التي يرى كل فرد نفسه مضطراً الى الخضوع لما ترسمه ، وكل خروج على نظامها ، ولو كان عن خطأ أو جهل ، يلقى من المجتمع مقاومة تكفل رد الامور الى نصابها الصحيح ، وتأخذ المخالف ببعض انواع الجزاء ، فاذا أخطأ فرد في نطق كلمة ما ، او استخدمها في غير مدلولها ، او خرج في تركيب عبارته عن القواعد التي ترسمها لغته ، كان حديثه موضع سخرية وازدراء من مستمعيه ، ورموه بالغفلة والجهل ، وقد يحول ذلك دون فهمهم لما يريد التعبير عنه ، وليس هذا مقصوراً على الخطأ الذي يسع الناطق اصلاحه ، بل ان الخطأ الذي لا يمكن اصلاحه ، لنشأته مثلا عن خلل طبيعي في اعضاء النطق قد يثير هو نفسه لدى السامعين بعض ما يثيره غيره من الاخطاء ، ويجر على

صاحبه بعض ألام ومتاعب في تعبيره وتفاهمه (١) . واذا حاول فرد ان يخرج كل الخروج على النظام اللغوي . بان يخترع لنفسه لغة يتفاهم بها ، فان عمله هذا يصبح ضرباً من ضروب العبث العقيم ، اذ لن يجد من يفهم حديثه ، ولن يستطيع الى نشر مخترعه هذا سبيلا . (٢)

(١) من طريف ما يروى في هذا الصدد ان بعض خطباء العرب المصابين باللثغة كانوا يرهقون انفسهم عسراً من امرهم في اعداد خطبهم حتى لا يبدو فيها اثر للثغتهم فكانوا يحرصون على الا تشتمل اية كلمة منها على الصوت الذي لا يقوى لسانهم على النطق بها من مخرجه الصحيح . ومن هؤلاء « واصل الغزالي » الذي ترك نطق الراء في زوايا الاهمال

(٢) انظر كتاب « اللغة والمجتمع » للدكتور على عبدالواحد وافي

نشأة اللغة

وضعت في « نشأة اللغة » نظريات وفرضيات لم تثبتها التجربة ، الا انها آراء فردية ظنية تعتمد على الحدس والتخمين أو على حجج ضعيفة لا يطمئن اليها التحقيق العلمي .

وللعلماء في هذا الموضوع نظريات اربع هي أهم ما قيل في هذا الصدد ، وليس فيها دليل قاطع على حق واحدة منها وهي :

١ً ـ « نظرية التوقيف » التي تقرر ان الفضل في نشأة اللغة الانسانية الى « الهام الهي » هبط على الانسان فعلمه النطق واسماء الاشياء .

وقد ذهب اليها في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني (هيراكليت [١]) وفي العصور الوسطى بعض الباحثين في فقه اللغة العبرية مثل : « احمد بن فارس [٢] » في كتابه « الصاحبي في فقه اللغة » وفي مقدمة كتاب « المزهر » « للسيوطي [٣] »

---

(١) « هيراكليت » (٥٧٦-٤٨٠) ق.م ، فيلسوف يوناني من المدرسة الايونية قال : ان النار هي العنصر الاولى في المادة .

(٢) «احمد بن فارس» : لغوي ونحوي كوفي المذهب ، تعلم في قزوين وهمذان وبغداد ومكة ، علم في همذان ، من تلامذته « بديع الزمان الهمذاني » كان يناصر العرب على الشعوبية . توفي في الري (١٠٠٤م) ومن مؤلفاته « المجمل في اللغة » و « الصاحب في فقه اللغة » و « سنن العرب في كلامها »

(٣) «السيوطي» : جلال الدين (١٤٤٥-١٥٠٥) ولد في القاهرة ، نشأ يتيما ، حفظ القرآن وهو دون ثمان سنين نبغ في التفسير الحديث والفقه والنحو

بحث في هذا الموضوع (باب القول في اصل اللغة) ومن الآخذين بهذا المذهب « أبو الحسن الاشعري (١)

وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء على رأسها الاب « الامي » والمؤيدون لهذا الرأي من باحثي العرب يعتمدون على بعض الادلة منها :

١ - قوله تعالى : « وعلم آدمَ الأسماء كلّها (٢) » فالاسماء عندهم : اللغة

٢ - ذم الله تعالى قوماً لانهم اطلقوا اسماء غير توقيفية : « ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم (٣) »

٣ - قوله تعالى : « ومن آياته خلقُ السموات والارض واختلافُ السنتكم والوانكم (٤) » والالسنة اللحمانية غير مراده لعدم اختلافها .

٤ - الالفاظ لو كانت اصطلاحية لاحتيج قبل وضعها الى اصطلاح آخر ليتم به التخاطب ، وهذا الاصطلاح الآخر اما ان يكون توقيفاً فهو رأينا ، أو اصطلاحاً وهو بذلك يحتاج الى اصطلاح سابق للتخاطب والتفاهم ، وهذا يترتب

والمعاني والبيان والبديع واللغة . سافر الى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ، انافت مؤلفاته على (٥٠٠) منها « طبقات الحفاظ » و « طبقات المفسرين » و « النقاية » في اللغة .

(١) ابو الحسن الاشعري : اسمه علي (٨٧٣-٩٣٥ م) الفقيه ، مؤسس علم الكلام (اي استعمال القياس بالجدال) ناصر اهل السنة على المعتزلة وصنف في ذلك كتباً عديدة لم يصل منها الينا الا القليل ، من اتباعه الغزالي وله « الابانة في اصول الديانة » وكتاب «اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع» ، ترجمه الى الانكليزية « مكارثي » المستشرق الاميركي (١٩٥٣)

(٢) البقرة ٣١ (٣) النجم ٢٣ (٤) الروم ٢٢

عليه دور من التسلسل الفاسد . واما القائلون بهذه النظـــرية من علماء الغرب فيعتمدون على ما ورد في سفر التكوين اذ يقول : « والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ، ثم عرضها على آدم ليرى كيف يسميها وليجعل لكل منها الاسم الذى يضعه له الانسان (١) .

وعلماء المسلمين انفسهم لم يتفقوا فيما بينهم على مدلول هذه النظرية فهنـاك فريق يقول في آية : « وعلم آدم الاسماء كلها » ان اللغة للانسان ، وانما خلق فيه القدرة على وضع الالفاظ التي تشكلت منها اللغة (٢).

يقول الاستاذ « محمد الخضر حسين (٣) » رحمه الله في كتابه « دراسات في العربية وتاريخها » :

« والقائلون : ان مبدأ اللغات التوقيف لا ينكرون ان تعدد اللغـات ونموها من بعد كان بطريق الاصطلاح ، وعلى حسب الحاجة ، ورجح « ابن

---

(١) انظر امالي ومحاضرات الاستـاذ «المبارك» الجامعية

(٢) انظر كتاب « الوسيط » في الادب العربي » صفحة ٢-٣ الهامش
انظر كتاب « المزهر » للسيوطي

(٣) «محمد الخضر حسين» ، ولد بتونس عام (١٨٧٤) وتوفي عام (١٩٥٨م) كان رحمه الله مثال العالم الفاضل المجاهد ، لجأ الى مصر واصبح شيخ الجـامع الازهر وعضو المجمع اللغوي في القاهرة والمجمع العلمي في دمشق ، ويفقـــده طوى علم من اعلام الشريعة الاسلامية واللغة العربية له مؤلفات عدة في الشريعة والعربية والادب والشعر والسياسة والاجتماع والاصلاح والاخـــلاق وتراجم الرجال معدودة في كتابه « دراسات في العربية وتاريخها » صحيفة (٤)

حزم [1] ، في كتاب « الاحكام » ان اصلها التوفيق من الله تعالى . ثم قال : « ولا ننكر اصطلاح الناس على احداث لغات شتى بعد ان كانت لغة واحدة وقفوا عليها بها علموا ماهية الاشياء وكيفياتها وحدودها ، ثم قال : ولا ندري اي لغة هي التي وقف آدم عليه السلام عليها اولا .

٢ « نظرية الاصطلاح والتواطؤ » التي تقرر : ان اللغة ابتدعت واستحدثت بالتواضع والاتفاق ، وارتجلت الفاظها ارتجالا ، وان حكماء المجتمع الانساني الاول اتفقوا فيما بينهم على وضع كلمة لكل شيء يقع تحت حسهم .

وقد ذهب الى هذه النظرية في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني « ديموكريت [2] » وفي العصور الوسطى كثير من الباحثين في فقه اللغة العربية وفي العصور الحديثة الفلاسفة الانكليز ومنهم « آدم سميث »[3]

(١) «ابن حزم» ، علي بن حزم (٩٩٤ - ١٠٦٤ م) ولد في قرطبة ، عربي اندلسي فقيه وطبيب وشاعر وفيلسوف ومؤرخ ، اشترك في حرب غرناطة وصار وزيراً ثم اعتزل عن السياسة وانصرف للتأليف . له كتاب « الاحكام » و « طوق الحمامة » و « الفضل في الملل والاهواء والنحل »

(٢) «ديموكريت» ، (القرن الخامس ق.م) فيلسوف يوناني ، كانت تعاليمه الادبية عالية نبيلة ، منها ان السعادة بضبط اهواء النفس . قيل : إنه ثمل عينيه ليغوص في اعماق افكاره ، له « في سلامة النفس » و « في طبيعة الانسان » و « في الجحيم » فقدت كلها .

(٣) «آدم سميث» . فيلسوف واقتصادي انكليزي، ولد في ايقوسياعام (١٧٢٣) وصار استاذاً للفلسفة في جامعة غلاسكو له كتاب «دراسات في طبيعة ثروة الأمم واسبابها» ترجم الى لغات وهو يتفق مع الفيزيوقراطين في أكثر آرائه ، ومن دعاة «حرية العمل وحرية المرور » وهو واضع السطور الأولى للاقتصاد السياسي كعلم مستقل .

وفي كتاب « الخصائص لابن جنى » كلام بهذا الصدد ، الا انه كان متأرجحاً بين القول بالتوفيق والقول بالاصطلاح

والمؤيدين ادلة عقلية يضيق المقام عن ايرادها

٣ ـ « نظرية الانفعال الغريزي » التي تقول : ان الفضل في نشأة اللغة يرجع الى غريزة خاصة زود بها في الاصل جميع افراد النوع الانساني ؛ تحمل الانسان على التكلم بكلمة خاصة ليعبر عن مدلول حسى أو معنوي ، كما أن غريزته الطبيعية تحمله على القيام بحركات والتلفظ بأصوات معينة ، ولما كانت هذه الغريزة متحدة في العهد الابتدائي في كل الافراد اتحدت الكلمات وتشكلت اللغة الاولى ؛ وبعد أن تكاملت اللغة الاولى انقرضت الغريزة لعدم الحاجة اليها .

وهذه النظرية اللطيفة بشكلها ليست بنظرية علمية لانها تخلق لنا بدلاً من المشكلة الاولى مشكلة الغريزة الكلامية التي هي اغمض منها ، فان كانت شجرة الجوز مثلاً لها اسم معين عند قدماء الهنود ، ولها اسم عند الزنوج فانهم ما كانوا يعرفون كلمة « شجرة » المجردة .

٤ ـ « نظرية المحاكاة لأصوات الطبيعة والحيوان »

هـذه النظرية تقرر : أن اللغة الانسانية الاولى نشأت من الاصوات الطبيعية المسموعة ، كدوي الريح وحنين الرعد (١) ، وخرير الماء ، وشجيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، وأصوات الحيوانات والطيور والتعبير الطبيعي للانفعالات ، وكسر جسم ونحو ذلك .

ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وسارت في سبيل الرقي شيئاً فشيئاً مع

(١) الحنين صوت المكروب إذا أظهره خافياً .

الحضارة ، وتعدد حاجات الانسان وكلما اتسعت حاجات الانسان اتسعت لغته لتجيب على الحاجة الضرورية القصوى .

وقد استحسن « ابن جني » هذا الرأي وصوبه وهو يتفق مع اقوال علماء اللغات اليوم .

هذه النظرية هي اقرب النظريات إلى العقل لانها متفقة مع قانون النشوء والتطور ، ولم يقم أي دليل على خطئها،وأنصار هذه النظرية يستدلون على صحتها بتشكل «لغة الطفل» فالطفل قبل المرحلة الكلامية يحاكي الاصوات الطبيعية كأصوات الحيوانات ومناظر الطبيعية ، وحينما يبلغ المرحلة الكلامية في مبدئها يوضح افكاره بالاشارات،وهناك برهان يسوقونه لدعم رأيهم وهو : قلة الالفاظ الدالة على أشياء معنوية في اللغات الابتدائية ، وكثرة الالفاظ على اشياء حسية ، واختصاص الانسان في اللغة ناجم عن وجود مراكز خاصة في دماغه تشرف على هذه اللغة .

هذا رأي لغوي العرب القدامى في نشأة اللغة العربية ، وأبحاث علماء اللغات اليوم انتهت إلى أن اللغة كائن حي خاضع لقوانين النشوء والنمو ، فهي ليست توقيفاً ووحياً كما أنها ليست اصطلاحاً وتواطؤاً بالمعنى الذي فهمه « ابو الفتح ابن جني » واصحابه ، وإنما هي اصطلاح طبيعي ينشأ عن محاكاة اصوات الطبيعة ، فاذا مانشأت اللغة تضافرت عوامل شتى لنموها وتطورها حتى تبلغ مرحلة النضج والاكتمال ، وقد لاتكون البيئة ملائمة لحياة لغة من اللغات فيؤول امرها إلى الاندثار والانقراض .

يقول الاستاذ « محمد الخضر حسين [1] » : «وليس في ادلة هذه المذاهب

---

(١) في كتابه «دراسات في العربية وتاريخها» ص ١٠—١١ .

ما يجعل النفس في قرارة من علم لايخالطه ريب ، وقصارى ماوصل اليه الباحثون اليوم أن الناظر في اللغة متى توغل في أطوارها إلى اقصى مايسعه التاريخ، يصل إلى شذوذ في تركيب الكلمات أو تركيب الكلام ، بحيث يعتقد أن هـذه اللغة لم تبلغ حالتها الحاضرة إلا بعد أن تقلبت في اطوار مرت عليها احقاباً ، فمن الصعب على الفيلسوف او اللغوي أو المؤرخ أن يحكم في أصل نشأة هـذه اللغات حكماً فاصلاً ، وإنما يستفيد من بحثه في اللغات التي بين يديه أنها تكون في أول أطوارها قليلة الكلمات غير متنوعة الاساليب ، ثم تفرز مادتها وتتعدد اساليبها ، على حسب ما يكون للناطقين بها من ثقافة أو حضارة .

ويقول الاستاذ « محمد المبارك » (١) في هذا الموضوع (٢) تحت عنوان : « القول الفصل في وضع اللغة » : بدأت اللغة بالتسمية بحسب الاصوات (القطا : اسم لطائر صوته كلفظ (قطا)وأسماء الاصوات في اللغة العربية Onomatopée

---

(١)«محمد المبارك»علم من أعلام الفكر الاسلامي والحضارة العربية. وهو النجل الأكبر للمرحوم الشيخ « عبد القادر المبارك » فقيد الاسلام واللغـــة والأدب والتاريخ .

كان وزيراً ونائباً عن دمشق عدة مرات وهو الآن عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق . له دراسات ومشاركات واسعة في عـــدة علوم إسلامية ولغوية وأدبية واجتماعية وله كتب طبع منها «الأمة العربية في معركة تحقيق الذات» و«فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ » «ورسالة في عبقرية اللغة العربية » «ونظرة الاسلام العامة في الوجود وأثرها في الحضارة » «ومن منهل الأدب الخالد» «وفقه اللغة دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية » وله تحت الطبع «في قضايا اللغة « وأحاديث في العقيدة » .

دليل قوي على استلهام الانسان الابتدائي أسماء مسميات من واقـــع الطبيعة ، فالغريزة مع ضرورات المجتمع أدت إلى وضع اللغة .

ولاشك أن اللسان عند ما يكوّن اللغة تكون له اوضاع تخرج معها الاصوات من مخارج متعددة عن الحلق أو الشفة أو الصدر فبعد احصاء سائر هذه الحروف دونت في العربيه فكانت الحروف الأبجدية المعروفة .

ولا يعرف على وجه الدقة من هو أول واضع لهذه الحروف ، ولا أول من دونها لأن ذلك مدرج في ظلمات العصور .

كان من تركيب هذه الاحرف ألفاظ ثنائية أو ثلاثية أو . . . ثم تقدم الزمن فأصبحت الألفاظ تدل على معان مختلفة كل الاختلاف عن المعاني القديمة ولما كانت هذه المعاني غير محدودة وكانت الحروف محدودة فقد كثر تركيب الحروف وبكثرة التركيب تباينت المعاني .

وربما كانت الألفاظ المشتركة بين مسميات مختلفة نتيجة صحيحة لقصور الألفاظ عن اداء المعاني ، فان لفظة « العين » مشتركة بين : النبع والمال من الذهب والفضة والجاسوس والباصرة ، وغير ذلك ، وقد تكثر الألفاظ أحياناً بالنسبة إلى معنى واحد وهي الألفاظ المترادفة والواقع أنها غير مترادفة في الأصل إذ لايعقل أن يضع انسان واحد عدة ألفاظ لمعنى واحد ؛ إن لم يكن هناك تباين في المعاني. ولعل البحث يهدينا الى أن هنالك في الأصل فرقاً دقيقاً ثم مع توالي الزمن تناسى القوم ما كان من فرق .

بقي لنا أن نعرف هل كان وضع اللغات وضعاً افرادياً أم وضعا مركباً ؟ أي هل وضعت المفردات والمركبات الاسنادية جميعاً أم بعضها دون الآخر ؟

الرأي الصحيح هنا رأي « الامام الرازي »[1] وجماعته : « ليس المركب موضوعاً، أي أن واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضع المفردات بل ترك المركبات الاسنادية الى اختيار المتكلم ؛ يدل على هذا اختلاف احوال الجمل عن احوال المفردات ، ولو كانت حال المفردات كحال المركبات لكان استعمال الجمل وفهم معانيها متوقفاً عن العرب كما هو الشأن في المفردات ولوجب حينئذ على اهل اللغة أن يتتبعوا الجمل ويودعوها كتبهم كما فعلوا ذلك بالمفردات .

(١) الامام الرازي: فخر الدين (١١٤٩-١٢٠٩) ولد في الري شيخ الاسلام في هراة فقيه ومحدث ، كان اذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمئة تلميذ من الفقهاء له «مفاتيح الغيب» وهو صاحب التفسير المشهور بـ «التفسير الكبير» .

دلالة اللفظ على المعنى في اللغة

لا يشتبه على ذي نظر ثابت وذوق سليم ، أن الألفاظ وإن حسن تأليفها، وتناسبت أوضاعها ، وامتدت إلى غير نهاية ، لا تزيد فائدتها عن ضبط الغرض القائم في النفس ، وتمييزه عما سواه ، ولا تكاد تؤدي الصور والمعاني ، وتنقشها في نفس السامع بحالتها المرسومة عليها في ذهن المخبر بهـــا ؛ فاذا شاهد الرجل حادثة وأدرك بحاسة وجدانه معنى ، فأراد حكايته وإفراغه بمثاله الحقيقي في ذهن السامع ، حتى يصير إدراك المخاطب للمحكي مطابقاً لادراك الحاكي ، لم يجـــد لذلك لساناً كافياً . ولا يستطيع انسان وإن ملك الفصاحة تحت طي لسانه ، أن يصف لك ذات شيء أبصره ، فتتصوره على وجه يطابق صورته ، إذا رأيته رأى العين ؛ فيضطر إلى أن يفحص بخاطره فيما سبقت لك به معرفة من الموجودات، ليأخذ لك مثلا تتعرف فيـه أحوالاً الموصوف ، لا تفي العبارة بتشخيصها ، ومن ثمة انفتح باب « التشبيه والتمثيل » ، ولم يستغن الفصحاء بعباراتهم الصريحـة أن يقرنوها بضروب من إشارة اليد ونحوها .

وإذا كان الحاذق في صناعة التصوير ، لا يمكنه أن يرسم للشيء مثـالاً يحكيه لك بجميع خواصه ، ويغنيك عن مشاهدته ، فكذلك مؤلف الألفاظ ، لان التعبير بها نوع من التصوير والمحاكاة .

قال الشيخ « ابن سينا » (١) في « كتاب الشفاء » :

( ) ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧م) ولد في أخشنة قرب بخاري وتوفي في همذان حسب وطبيب ودن كبار فلاسفة العرب وأئمة مفكريهم درس فلسفة ارسطو وله آراء قيمة . من مؤلفاته المطبوعة «القانون في الطب» «والشفاء» في الفلسفة.

« إن النفوس تنشط وتلتذ بالمحاكاة ، فيكون ذلك سبباً لأن يقع عندها للأمر فضل موقع ، والدليل على فرحهم بالمحاكاة ، أنهم يسرون بتأمل الصور المنقوشة للحيوانات الكريهة المنظر المتقزز منها ، ولو شاهدوها أنفسها لنفرت أنفسهم عنها ، فيكون الفرح ليس بنفس تلك الصورة ولا المنقوش ، بل كونها محاكاة لغيرها إذا كانت قد أتقنت ، ولهذا السبب صار التعليم لذيذاً ليس إلى الفلاسفة فقط ، بل الى الجمهور ، لما في التعليم من المحاكاة لأن التعليم تصوير للأمر في رقعة النفس » .

وإذا كان التعبير بالالفاظ من قبيل التصوير ونقش المثال ، فالصورة التي يمثلها الصانع بمقدار جمعها لخواص الممثل ، وعلى حسب جودة أصباغها ، وتناسب أوضاعها ، تلذها العيون ويرتاح الطبع عند النظر إليها ، كذلك العبارة على قدر ما تسع من المعاني ، وتحتوي عليه من الالفاظ السائغة ، وحسن الائتلاف في التركيب تطرب لها الاسماع وتستعذبها الاذواق ؛ ومن هذه الجهة يدخل العادلون الى الحكم والتفضيل بين العبارات واللغات فما كان أوسع دائرة في تصوير الغرض وأرشق في مبانيه، وأحكم في نسيجه كان أحق بالشرف وأحرز للسباق .

ولتوضيح هذا نقول :

إن في الكائنات ما يدرك باحدي الحواس ، فيولد في الذهن صورة شيء

و«الاشارات والتنبيهات» في المنطق وكتاب «النجاة» ولا يزال قسم من تآليفه مخطوطاً في خزائن الكتب . له في النفس القصيدة المشهورة ومطلعها .

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات توجع

آخر غير محسوس بالفعل ، « كالدخان » المشاهد على بعد ، يولد في أذهاننا صورة النار ، والنار غير ظاهرة لأبصارنا ، « وكالاحمرار » يبدو على الوجه فجأة فيحضر في أذهاننا معنى الخجل ، ولم يكن قبل ظهور هذا الاحمرار حاضراً ، وكلفظ « الأسد » يحضر في أذهاننا صورة الحيوان المفترس ، وهذا الحيوان غير حاضر عندما يطرق اللفظ اسماعنا. ولا شيء يدل على شيء آخر بطبيعته حتى يكون مجرد وجوده كافياً في الدلالة ، وانما توجد الدلالة بعد العلم بما بين الشيئين من رابطة ؛ ولولا ملاحظة هذه الرابطة لما اقترن شيئان في الذهن على أن هذا «دالٌ» وذاك « مدلولٌ له » . فالأوضاع البدنية « كتقطيب الوجه » ، تدل على بعض أحوال نفسية « كالغضب » ، وهذه الدلالة لا تتحقق الا عند من عرف ـ بطريق التجربة مثلاً ـ أن تلك الأوضاع البدنية والأحوال النفسية يرتبطان في الوجود ؛ وهذا هو الذي يمكنه أن يلاحظ هذا الارتباط ، فتقترن تلك الأوضاع البدنية والأحوال النفسية في ذهنه ، أولاهما بصفة « دالة » وأخراهما بصفة « مدلولٍ عليها » .

واذا قالوا : ان دلالة احمرار الوجه على الخجل طبيعية ، فعلى معنى أن احمرار الوجه يرتبط بالخجل بقانون طبيعي ، أما نفس الدلالة فانها لا تتحقق الا بعد أن يكون الناظر قد علم أن احمرار الوجه ينشأ عن الخجل ، وهذا العلم انما يحصل من نحو التجربة أو التلقين .

وعلى هذا النحو يجري حال الامور التي لا يربطها بما تدل عليه قانون طبيعي ، وانما هو العرف والاصطلاح ، فاذا رأينا علماً على شاطيء البحر عرفنا أن هنال سفينة ، ومن البين أن لا رابطه بين العلم ووجود سفينة بالمرسى غير تلك الرابطة الذهنية الناشئة من اصطلاح الناس على أن يرفعوا على السفن أعلاماً .

ومن هذا الوادي « دلالة الالفاظ على المعاني » ، فان المعنى لا يحضر عند

النطق باللفظ أو لا يحضر حضوراً تنشأ عنه فائدة الا أن يسبقه العلم بأن هذا اللفظ قد وضع ليدل على هذا المعنى ، ان المتكلم به ممن يحذو في الكلام حذو هذا الوضع (١) .

---

(١)اعتمد في كتابة هذا البحث على كتاب « دراسات في العربية وتاريخها » للاستاذ « محمد الخضر حسين » .

الباب الثاني

اللغة العربية

خلود اللغة العربية .....

تاريخ اللغة العربية .....

فقه اللغة العربية .....

دفاع عن اللغة العربية .....

الفصل الأول

خلود اللغة العربية

هل يمكن اتحاد البشر في لغة واحدة « الاسبرانتو » ؟

اللغة العربية خالدة لا تموت

فضل اللغة العربية وشواهده

اللغة العربية بين الماضي والحاضر

نهوض اللغة العربية

تطور اللغة العربية

تهذيب اللغة العربية

هل يمكن اتحاد البشر في لغة واحدة « الاسبرانتو » ؟

يقول الباحثون في اللغات :

كانت اللغات في أول الأمر فقيرة مختلفة ، إذ كان لكل جماعة صغيرة من البشر لسان خاص ، وبكثرة اختلاط صنوف البشر واشتراكهم في المنافع أخذ بعض اللغات يقترب من بعض بل أخذ بعضها يندمج في بعض فقلّ عددها ، واتسع نطاق بعضها ؛ ثم رأى بعض علماء أوروبا مثل (ديكارت) (١) : أن تعدد اللغات أدى الى صعوبة التفاهم بين الأفراد المختلفي الشعوب ، وهذا مما يجعل سير المدنية بطيئاً ، فارتأوا وضع لغة جديدة لتكون لسان البشر جميعاً ، وقد سعى لانفاذ هذا الرأي الطبيب البولوني « لودفيج زامنهوف » (Ludwing Zamenhof) فوضع اللسان المسمى « الاسبرانتو » (Esperanto) وقد اعتمد في تأليفه على ثمانية وعشرين حرفاً ، ووضع له ست عشرة قاعدة ، ومعظم كلماته من اللغة الرومانية والانكليزية ، وفي العالم جمعيات تدعو لهذا اللسان يقدرونها بنحو (١٧٧٦) جمعية وفي المانيا وحدها من هذه الجمعيات (٤٤١) جمعية ، مركزها الرئيسي في مدينة (لايزيغ) ولجمعيات العالم كلها مركزان أساسيان أحدهما في « جنيف » والآخر في « باريز » وفي اوروبا واميركا والصين واليابان صحف تصدر بهذه اللغة . وفي « دائرة المعارف الالمانية » أن عدد الذين يتكلمون بها يقرب من مئة وثلاثين الفاً .

---

(١) « ديكارت » : (٥٩٧ - ٦٥٠) فيلسوف افرنسي اشتهر بكتابه « مقالة الطريقة » الذي كان له الاثر البليغ في الفكر الغربي، وفيه مبدأه المعروف « انا افكر اذن انا موجـــود » وهو مصدر الفلسفة الحديثة ، نقله الى العربية « جميل صليبـا » سنة ١٩٥٠ .

وإذا امكن انتشار لسان من الالسنة حتى يعرفه جميع الأمم زيادة على مايعرفونه من لغاتهم القومية ، فمن الصعب جداً ان ينتشر بين الشعوب على اختلاف مواطنها لغة تستولي على ألسنتها ، وتطمس على آثار لغتها فان الالسنة تابعة لأحوال التفكير والاحساس وهل من سبيل الى أن تتحد الأمم في تفكيرها وإحساسها ؟ .

(١) يقول الاستاذ « أمين الله عيروض » في رسالته « العروبة الخالدة » « إذا كان تعدد اللغات مما يسيء إلى البشرية ويجعلها في عجمة تفوق الحيوانات العجم فالذئاب تتفاهم مع بعضها ، والطيور تعرف منطقها ، عُلِّمْنَا منطقَ الطيرِ » (٢) . والطيرُ صافّاتٍ كلٌ قد عَلِمَ صلاتَهُ وتسبيحَهُ ، (٣)

وإذا كان تعدد اللغات مما يبعد المحبه والألفة بين الناس ويفرق الكلمة التي جاءت لجمعها الرسل « أنْ أقيمُوا الدينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فيهِ » .

وإذا كان كان تعدد اللغات مما يعرقل عجلة السلم العالمي الذي يدعو اليه الانسانيون ، وإذا كان التفاهم على لغة واحدة مما يدعو الى السلم والمحبة فالاسلام أول من دعا الى جمع الناس على لغة واحدة لتتحقق المحبة والسلام ، فلقد جاء الاسلام بقرآنٍ عربيٍ مبينٍ :

تلاوته عبادة ، وتفهمه عبادة ، وتعلم لغته عبادة ؛ وجاء بالأذان والصلاة والعبادات « بلسانٍ عربيٍ مبينٍ » ، وبهذا يجتمع شمل المسلمين حول اللسان العربي المبين .

---

(١) « امين الله عيروض » : عالم فاضل ، واسع الاطلاع ، حاد الذكاء سريع البديهة ، تخرج من الخسرفية والأزهر والنجف . الف ونشر كثيراً من الرسائل والمقالات المتسلسلة في مواضيع علمية وادبية في شتى المعارف والعلوم .
(٢) سورة النمل : ١٦ (٣) سورة النور : ٤١ (٤) سورة الشورى : ١٣

وهكذا فقد حض الاسلام المسلمين على تعلم اللغة العربية بهذا الاسلوب الايجابي حين جعلها وسيلة التفقه في الدين وأداء شعائره . ولم يجبرهم على ترك لغاتهم لأن اختلاف اللغات من آيات الله « وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَمَواتِ والأَرْضِ واختلافُ ألسنَتِكُمْ وألوانِكُمْ » (١) .

ونحن إن وضعنا معجماً لغوياً للأمة الاسلامية مستنبطاً من القرآن العظيم والاحاديث الشريفة المشهورة ، وتعلمها المسلمون أمكننا أن نخاطبهم بذلك ونتفاهم معهم ، وبذلك نقضي على شطر واسع من الوحشة والنفور الذي اوجده تعدد اللغات في العالم وخاصة اذا علمنا أن عدد اللغات المعروفة في العالم اليوم (٢٧٩٦) ألفان وسبعمئة وست وتسعون لغة . وعلينا ان نعلم الأعاجم منا فضل اللغة العربية ومكانتها بين اللغات وضعاً وشرعاً ، وأنها اجمع اللغات ثقافة ورقة ، تعلم الناس الثقافة القديمة والحديثة والدينية والدنيوية »

---

(١) سورة الروم : ٢٢

اللغة العربية خالدة لا تموت

ليس من الهين أن توضع لغة تتلقاها كل الامم بالقبول على معنى أن تهجر لغاتها وتقيم هذه اللغة مكانها . واذا فرضنا أن شعوباً غير عربية رضيت أن تتخلى عن لغاتها ، فان الشعوب التي تنطق باللغة العربية أحرص الناس على حياة لغتهم ، فمن المحال أن يستبدلوا بها لغة اخرى وان تضافر على هذه اللغة امم الأرض جميعاً . تأبى هذه الشعوب هجر اللغة العربية ، وتحويل ألسنتها الى لغة أخرى ، تأبى ذلك لأنها لغة « القرآن الكريم » الذي هو معجزة الرسالة ومطلع الهداية ، ولانها تملك من فصاحة الكلم، وحكمة الاساليب وغزارة المادة مايجعل خطيبها او شاعرها او كاتبها المجلي في حلبة البيان ، فلو زهدت هذه الشعوب الاسلامية في اللغة العربية كانت قد فرطت في حب الله ، واضاعت من يدها لساناً بلغ في الابداع اقصى ما يمكن ان تبلغه لغات بنى الانسان .

كتب « جول فرن » قصة خيالية (١) بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الارضية حتى يصلوا او يدنوا من سطحها ، ولما ارادوا العود الى ظاهر الارض بدا لهم ان يتركوا هنالك اثراً يدل على مبلغ رحلتهم فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل « جول فرن » عن وجه اختياره للغة العربية ، قال إنها : « لغة المستقبل ولا شك انه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه » .

وذكر « ابن حزم » (٢) في كتاب « الاحكام » سنة من سنن الكون في سقوط اللغة فقال : « ان اللغة يسقط اكثرها ويبطل بسقوط دولة اهلها

---

(١) من مقال « عليكم باللغة العربية » للاستاذ محمود سالم .

(٢) تقدمت ترجمته صحيفة ٤٢ .

ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم ، او تنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم ، فانما يقيد لغة الامة وعلومها واخبارها قوة دولتها ، ونشاط اهلها وفراغهم ، واما من تلفت دولتهم ، وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة اعدائهم ، فمضمون منهم موت الخاطر ، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم ، ونسيان انسابهم واخبارهم ، وبيود علومهم ؛ هذا موجود بالمشاهدة ، ومعلوم بالعقل والضرورة » .

وقد أصاب « ابن حزم » في حكمه على الامة التي تقع تحت سلطان من لاينطق بلسانها ، من أن لغتها تصير الى انحطاط أو ضياع . وهذه سنة لغات الامم التي يجدها الاجنبي في جهالة ، ويتمكن من أن يبقيها في جهالتها، أما الامة المتيقظة لوسائل سلامتها وعزتها فانها تندفع في ابتغاء هذه الوسائل بكل ما تستطيع من حيلة وتسلك له ما تهتدي إليه من سبيل ؛ فلا تألو جهداً في الاحتفاظ بلغتها ، والعمل لاعلاء شأنها ، على الرغم من كل من يكيد لها ، ويبري السهام ليرمي بها مقاتلها .

وفي البلاد التي تنطق بالعربيه شعور ساطع في نفوس شيوخها وشبابها ومن أثره هذه الغيرة التي تملأ ما بين جوانحهم ، وتهزهم افراداً وجماعات إلى النظر في اصلاح ما اختل من امورنا وإعادة ما تقوض من مجدنا ، فنحن على ثقه من أن اللغة العربية سترفع رايتها ، وتفوق اللغات الراقية بغزارة مادتها وفضل بلاغتها ، وما ذلك من هم ابنائها وطموحهم الى الحياة الماجدة ببعيد ؛ إذا اخلصتهم الغيرة على ما للغة العربية من الوضع المحكم والاساليب المؤثرة ، فأجمعوا امرهم على السعي في ترقية شأنها بأقرب الوسائل ، ومواصلة البحث عن اسرار فصاحتها ليشهدوا دم الحياة كيف يجري في عروقها ، وتستبين لهم من دلائل فصاحتها ما لا يستطيع مفكر انكاره : من حال اللغة في حد ذاتها من جهة

أطوارها ، ومحكم وضعها ، واتساع نطاقها وارتقائها مع المدينة، وما يشاكل ذلك فاذا ثبت لهم في روعهم أن غيرها من الألسنة لايفوقها بفن من فنون البيان وشواهد الحسن كان ذلك داعياً يكفيهم للذود عن حياضها . وناهضاً بهممهم الى الاحتفاظ بها . وكما مرّت على البلاد العربية أمم كثيرة عزتها وحكمتها ثم تقلص ظلها عن بلاد العرب وبقي أبناء البلاد وحـــدهم يتمتعون بهوائها وشمسها ويسرحون في جبالها وسهولها ، فكذلك مرت عليها لغات كثيرة منها الآرامية والسريانيةوالعبرانية والفينيقيةواللاتينية واليونانيةوغيرها فصارعت اللغة العربية هـــذه اللغات كلها وغلبت عليها بفضل ما حباها الله من قوة التركيب وخصب المادة ، ورخامة النغم.أجل ، أجل ، لن تموت اللغة العربية لأنها لغة « القرآن » ولغة « الرسول » عليه الصلاة والسلام ولغة « أهل الجنة في الجنة » بشهادة «النبي العربي ، ولأنها لغة « الأمة العربية » .

والبلاد العربية جنة الله في أرضه، كانت مهبط شرائع الله تعالى ومنبت رسل الله عليهم الصلاة والسلام ومطلع دين الله الخالد ،ولهذا كانت بلادنا مقدسة شرفها الله وباركها بقوله « سبحانَ الذي أسرىَ بعبـــدِهِ ليلاً منَ المسجدِ الحرامِ الى المسجدِ الأقصىَ الذي باركنا حولَهُ لنريَهُ من آياتنا إنه هو السميعُ البصيرُ » (١) .

---

(١) سورة الاسراء : ١

فضل اللغة العربية وشواهده

للعارف بحسن صياغة الكلام ان يصنع من مفردات اللغـــة العربية المأنوسة الوضاءة قطعاً او خطباً أو قصائد تسترق الأسماع وتسحر الألباب.

وللغة العربية فضل من جهة «اعتدال كلماتها» فانا نجد أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، وأقل من الثلاثي ما وضع على أربعة احرف واقل من الرباعي ما وضع على خمسة احرف. وليس في اللغة كلمة ذات ستة احرف اصلية وقد جاءت ألفاظ قليلة جداً على حرف واحد او على حرفين.

ولهـا فضل من جهـــة «فصاحة مفرداتها» فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال مايثقل على اللسان او ينبو عند السمع.

ولعناية العرب بتهذيب الألفاظ زعم قوم: ان العـــرب تعنى بالألفاظ وتفضل المعاني وهؤلاء هم الذين رد عليهم «ابو الفتـــح بن جني» (١) في باب مستقل من كتاب «الخصائص» ومما قال في هذا الباب:

«فاذا رأيت العرب قد أصلحوا الفاظهم وحسنوها وحواحواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها (٢) وأرهفوها، فلا ترينّ أن العناية إذ ذاك إنما هي، بالالفاظ بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني وتنويه وتشريف، ونظير ذلك إصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته لهذا شرفها الله حين اختارها دون سائر اللغات لتكون لغة خاتم الكتب «الر تلك آيات الكتاب المبين. انا أنزلناهُ قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (٣)

---

(١) تقدمت ترجمته صحيفة (٢٩)

(٢) غرب كل شيء: حده

(٣) سورة يوسف: ١-٢

« حم تنزيلٌ من الرحمنِ الرحيمِ . كتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرُهُم فهم لا يسمعونَ » (١) .

« ولقد ضربنا للناسِ في هذا القرآنِ من كلِ مثلٍ لعلهم يتذكرونَ . قرآناً عربياً غيرَ ذي عِوَجٍ لعلهم يتّقونَ (٢) »

ولغة خاتم الرسل : « لقد جاءكمْ رسولٌ من أنفسِكمْ » (٣)

« وما أرسلنا من رسول إلا بلسانِ قومِهِ ليُبَيِّنَ لهم» (٤)

« وإنهُ لذكرٌ لكَ ولقومِكَ وسوف تُسألون » (٥)

ويظهر فضل اللغة بالموازنة بينها وبين الفارسية وبما أدلى رجال الحكمة والعلم والدين واللغة من آراء :

---

(١) سورة فصلت : ١-٤

(٢) سورة الزمر : ٢٧ -٢٨

(٣) سورة التوبة : ١٢٧

(٤) سورة ابراهيم :

(٥) سورة الزخرف : ٤٤

١ ـ الموازنة بين اللغة الفارسية واللغة العربية

كانت اللغة الفارسية في الشرق هي التي يمكن بمالها من فصاحة وحسن بيان ان يوازن بينها وبين اللغة العربية ولانظهر في هذاالموقف بدعوي المفاضلة بينها وبـــين لغات اخرى ثم نقضي لها بالمزية والسباق فان شرف منزلتها وقرار حياتها لايتوقف في بيانه على الموازنة بينها وبين ما عداها من اللغات .

كما لاندعي فيما نسوق من شواهد حسنها ان جميعه خاصة لها لايشاركها فيه لسان ، فاذا اوردنا في سلكها فضيلة يعهدها بعض القراء من لغة اخـــرى، فلا يناج نفسه بأنا خرجنا عن سبيل الفرصة والقصد من الاستشهاد ، اذ يكفينا داعياً الى الذود عن حياضها وناهضاً بالهمم الى الاحتفاظ بها ان غيرها من الالسنة لا يفوقها بفن من فنون البيان .

وقد شهد بعض الاعاجم الذين عرفوا اللغتين بأن العربية ارقى مكانة والطف مسالك قال ابن جني في « الخصائص » :

انا نسأل علماء العربية ممن اصله اعجمي وقد تدرب قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينها ، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك ، لبعده في نفسه وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه . سألت غير مرة « ابا علي » (١) عن ذلك ، فكان جوابه عنه نحواً مما حكيته .

ولقد استدل بعض علماء الادب بما كتبه « ارسطو » (٢) في الشعر على ان

---

(١) ابو علي الفارس : (٩٠٠ ـ ٩٨٧)م ولد في فاسا (ايران) من ام عربية وتوفي في بغداد، من لغويي البصرة . كانت له منزلة عند « سيف الدولة » في حلب وعند « عضد الدولة البويهي » في فارس له « الايضاح والتكملة في النحو » مخطوط في الاوسكوريال .

(٢) ارسطو : او ارسطوطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق م) مؤدب الاسكندر، فيلسوف يوناني من كبار مفكري البشرية .

الشعر العربي ارقى من الشعر اليوناني، قال «حازم» في كتاب «المناهج الادبية»(١):

« ولو وجد أرسطو في شعر اليونان ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال والاستدلالات واختلاف ضروب الابداع في فنون الكلام لفظاً ومعنى ، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تفوقهم في صنعها ووضع الألفاظ بازائها ، وفي إحكام مبانيها واقترانها ، وطلب التفاتاتهم وتمنياتهم واستطراداتهم وحسن مآخذهم ومنازعهم ، وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاءوا ؛ لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية »

٢- رأي المستشرق « أرنست رينان »(١) في اللغة العربية

قال المستشرق « أرنست رينان » في كتابه « تاريخ اللغات السامية »: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل . تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها . وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة أنها لم تتغير أى تغير يذكر ، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لاطفولة ولا شيخوخة لانكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى ، ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة » .

---

(١) توجد نسخة من هذا الكتاب بالمكتبة الصادقية في تونس.

(٢) ارنست رينان : (١٨٢٣ - ١٨٩٢ م) كاتب وعالم اثري افرنسي من مؤلفاته « حياة يسوع » .

٣- رأي المطران « يوسف داوود الموصلي » في اللغة العربية

قال المطران « يوسف داوود الموصلي » :

« من خواص اللغة العربية وفضائلها أنها أقرب سائر لغات الدنيا إلى قواعد المنطق، بحيث أن عباراتها سلسة طبيعية يهون على الناطق الصافي الفكر أن يعبر فيها عما يريده من دون تصنع وتكلف، بإتباع مايدل عليه القانون الطبيعي وهذه الخاصية إن كانت اللغات الساميه تشترك فيها مع العربية في وجه من الوجوه فقلما نجدها في اللغات المسماة « الهندية الجرمانية » ولا سيما الافرنجية منها .

٤- رأي العلامة « فريتاغ » في اللغة العربية

وقال العلامة « فريتاغ » الألماني :

« ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليه العد وإن اختلافنا عنهم في الزمان والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه فيها حجاباً لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبه » .

الحكم المنصف للغة العربية

ما ذكرته شهادات صادرة ممن يعتقدون أن للغة العربية فضلاً من جهة أنها اللسان الذي نزل به «القرآن الكريم» وفيهم العربي والفارسي وممن لا يؤمنون

بالقرآن وإنما ينظرون الى اللغة من ناحية حسن البيان وفهم الحكيم والفيلسوف وقد ذكر محاسن اللغة العربية الى جانب هؤلاء وأولئك رجال يعرفون غيرها من اللغات الراقية وشهدوا لها بأنها أقرب اللغات انطباقاً على النظم الطبعية يقول العلامة « محمد الخضر حسين » (١) في كتابه « دراسات في العربية وتاريخها » :

« ولندع الحكم بين اللغة العربية واي لسان أعجمي لمن يعرف العربية الفصحى ويعرف ذلك اللسان الاعجمي فهو الذي قد يصغي اليه الناس متى آنسوا فيه الانصاف ويتلقون حكمه بالقبول »

ويتابع فيقول : « والذي أقوله وأنا على بينة مما أقول : ان أساليب اللغة العربية أقرب الى النظم الطبعية من اللسان الألماني ، فان في اللسان الالماني ضروباً من التصرف يفقد بها الكلام ترتيبه الطبيعي وليس لهذه الضروب في العربية الفصحى من شبيه ، وسنلم بشيء من أمثلة ذلك في بعض فصول هذا الكتاب » .

اللغة العربية بين الماضي والحاضر

ان اللغة كما تقدم بالغة من حسن البيان ماليس بعده مرتقى وكانت تجري مع العلوم والحضارة جنباً الى جنب ، على تلك الاكوان الفسيحة المرسومة في صحف التنزيل بالوصف المبدع والبيان المعجز ، تفتح للفكر العربي ابواباً للتأمل والتجول والبحث ، ودونت بها مجموعة العلوم الدينية والدنيوية من تفسير وحديث ومن فقه وفلسفة ، الى طب ورياضيات ، وتاريخ وعمران وفلك وكيمياء الخ مما اتسم كله بميسم التفكير واعمال العقل ، علوياً كان او ارضياً ، موضوعاً ام منقولاً ، ومن هنا كان فقهاؤنا فلاسفة وفلاسفتنا علماء ، والشارحون اللغويون رياضيين حسابيين وصانعو القوافي صائغين مهندسين ، وعندما نبلغ عالم الشعر نكاد

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٤ في بحث «نشأة اللغة »

نقول: ان شعراءنا حكماء، كثيراً ما ارادوا ان يفنوا ففكروا، اوارادوا ان يتخيلوا فصوروا وملأوا كؤوسهم تأملات في الحياة والموت واحوال الدنيا وانسانها. ولا يقف عالم او خطيب او شاعر إلا وجد في غزارة مفردات اللغة العربية وإحكام أساليبها مايمكنه من إبراز الحقائق او المتخيلات في برود ضافية محبَّرة ثم أدرك العربية نقصٌ منذ حين ، وأخذت تتباطأ في مسايرة العلوم والمدنية ، حتى تقدمها كثير من اللغات النامية ، وأصبحت هذه اللغات تجول في كثير من العلوم والفنون وتعبر عن معان تقف دونها اللغة العربية صامتة .

ولم تقع اللغة العربية في هذا التباطؤ لقلة مفرداتها او ضيق دائرة تصريفها او ابايتها نقل بعض كلماتها عن معانيها الأصلية الى معانٍ أخر تناسبها ولو كان لشيء من هذا دخل في تباطئها لعذرنا أولئك الذين يحاولون صرف الألسنة عنها ويدعون الى أن تأخذ كل جماعة بلغتها المعتلة المشوهة ولعذرنا أولئك الذين يدعون الى استعمال الألفاظ الأعجمية ، وحشرها في منشآتنا وأشعارنا وخطبنا ومحاوراتنا ، وإنما علة ذلك النقص غفلة المعهود اليهم بالقيام على حياة اللغة ومسايرتها للعلوم والفنون والمدنية جهلاً منهم بمنزلة اللغة العربية بين اللغات او زهداً منهم بلغتهم لركونهم الى لغة أخرى او كسلاً وتقصيراً عن القيام بواجبهم نحو العربية وحقها الذي في أعناقهم ؛ حتى هان أمرها عليهم فهانت على الناس وضعف شأنها ، وراحت تندب حظها بين أبنائها الناطقين بها والمتشرفين بالانتماء اليها حين رأت إعراضهم عنها وإهمالهم العناية بها وتعهدها حتى تبقى نابضة بالحياة مورقة مزهرة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها فقالت على لسان « حافظ ابراهيم » شاعر النيل :

فياويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عزَّ الدواءُ أساتي
فلا تكلوني للزمان فانني ... أخافُ عليكم أن تحينَ وفاتي
ولو تزجرون الطيرَ يوماً علمتم ... بما تحته من عثرةٍ وشتات

نهوض اللغة العربية

نحن العرب في البلاد العربية خرجنا من عهد شوهت فيه لغتنا العربية وغزيت من لغات اخرى كثيرة حتى انعدمت سليقة اللغة العربية في اكثر النفوس وآلان يجب ان تبعث العربية من جديد ، وحينما يصبح اهل هذه اللغة مالكين لزمامها ، ومتذوقين لخصائصها تنطلق حينئذ هذه اللغة دون قيد إلا ما تقيدهم به خصائص اللغة نفسها من قواعد الاشتقاق والأبنيةوالصيغ والوسيلة التي تنهض بالعربية وترفعها الى مستوى اللغات الراقية هي الوسيلة التي نهضت بتلك اللغات الحية وجعلتها تسير مع العلموالحضارة كتفاًلكتف ؛ اعني تأليف « مجمع لغوي » تتحدفيهمجامع الدول العربية،ينظر فيما تجدد او يتجدد من المعاني ويضع لكل معنى لفظاً يناسبه ؛ ولا عجب ان تكون اللغات الأجنبية الراقية قائمة بحاجات العلم والمدنية ؛ وان يكون باللغة العربية خصاصة من هذه الناحية فان أصحاب تلك اللغات قد سبقونا الى عقد المجامع اللغوية منذ احقاب .

فالمجمع اللغوي في المانيا تألف سنة (١٦١٧) م والمجمع اللغوي في فرنسا تألف سنة (١٧٣٤ م) ولم ننس ان كلمات كثيرة حدثت في اللغة العربية لهذا العصر ، واصبحت تجري على ألسنة أدبائنا وتخطها أقلام كتابنا وهي عربية المنبت خفيفة الوقع على السمع آخذة حظها من مناسبة الوضع ، ولكن العلوم تتدفق تدفق السيل ومقتضيات المدنية تتجدد تجدد النهار والليل ، وكل من المعاني العلمية والمرافق الحيوية يحتاج إلى أسماء تلتئم مع سائر الألفاظ العربية التئام الدرر النقية في أسلاكها،وتلك الكلمات المشار اليها إنما هي من صنع افراد قد تنساق إليهم من نفسها فيقع عليها اختيارهم وتصادف في الناس حاجة فتتلقفها ألسنتهم وهذه الطريقة لاتشفي غلة العلم ولا تملأ للمدينة عيناً ، وانما يشفي غلة العلوم المتكاثرة ويملأ عين المدنية الزاخرة « تأليف مجمع لغوي عربي واحد » يسير مع العلوم والمدنية لا يتأخر عنها طرفة عين؛يضم أعلام اللغة العربية وكبار المشتغلين بعلومها وفنونها ، ويشمر هؤلاء عن ساعد الجد والعمل ويعملون

باخلاص زائد ودأب مستمر ، وتمدهم الدول العربية بما يحتاجون من مساعدات مادية وأدبية ، وتشجعهم وتكرم المتفانين منهم والمبرزين ،وتهيىء لهم سبل العمل والانتاج ثم تطالبهم بنتاج عقولهم وقرائحهم وأيديهم، لنرى منهم بعد ذلك العجب العجاب ، وحينئذ حدث ولا حـــرج .

وان أثر تشجيع الدولة في رقي اللغة لاينكر أبداً.ولقد كانت اللغة العربية في خلال الأعصر الماضية تعلو وتضعف وتنتشر في أنحاء المعمورة على حسب كرم الدولة وعناية رجالها بالفنون الأدبية فارتفع ذكرها حين كان الأمير « سيف الدولة » (١) يباحث « أبا على الفارسي » في غوامض علم « النحو » وينقد شعر « ابي الطيب المتنبي » بذوق لطيف ويجازيه وغيره من الشعراء بغير حساب .

وارتقى شأن العربية يوم قام القاضي « منذر بن سعيد » في مجلس الملك « الناصر لدين الله »عند احتفاله برسول ملك الروم في قصر قرطبة وشرع يخطب من حيث وقف « أبو على البغدادي » وانقطع به القول فوصل « منذر » افتتاح « ابي على » بكلام عجيب وأطال النفس في خطبة مرتجلة فخرج الناس يتحدثون عن بديهته المعجزة ، وارتواء لسانه من اللغة الفصحى .

ولا مرية في أن كرم الدولة باعث على ارتقاء حال اللغة عند من التفت الى التاريخ وأقام الوزن بين الشعراء الناشئين في زمن أجـواد العرب وملوك « آل جفنة » وملوك « لخم » كزهير والنابغة وبين من تقدمهم من الشعراء .

ويوم تعنى حكومات الأمة العربية بعلمائها وأدبائها وشعرائها ورجال الفكر فيها ترقي «اللغة العربية» ويرتفع شأنها ويعلو كعبها،والأمل كبير ـ بمشيئة الله وبوعي رجال الأمة العربية المخلصين ـ بمستقبل اللغة العربية مشرق ، ونهوض أمة العرب من جـــديد .

---

(١) سيف الدولة بن حمدان : (٩١٦ - ٩٦٤ م) صاحب حلب اشتهر بشجاعته في الحروب وحمايته للعلماء والأدباء ، منهم : المتنبي وابو فراس والفارابي إليه قدم ابو الفرج الأصبهاني كتـاب « الأغاني » الكبير .

تطور اللغة العربية

الظاهرة الحقيقية التي نجدها في اللغة العربية اليوم أنها تكاد تكون أقل اللغات تطوراً على ممر العصور وأكثرها اشتمالاً على أصول اللغات البدائية ، فلغتنا لم تأخذ بنصيبٍ وافٍ من التطور والتهذيب والتبويب كاللغات الأخرى واللغة كائن حي يخضع لقوانين التطور والارتقاء التي تخضع لها سائر الكائنات الحية .

وما زالت لغتنا اليوم تقارب في الفاظها وتراكيبها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً ومرد هذا الى أنها « لغة القرآن » ، و « القرآن العظيم » فضلاً عن كونه كتاب المسلمين الأقدس هو كتاب العربية الأول ، ونموذج رائع معجز للبلاغة والبيان . كل ذلك جعل « لغة القرآن » قدوة الكتّاب ، ورائد الادباء في كل عصر ، ففصحاؤهم ينهلون من معينة الثر ، ويحاولون محاكاته في طرق التعبير والتصوير ، ولغويوهم ونحاتهم يستمدون منه جل قواعدهم فظلت لغتنا الفصيحة حتى اليوم قوية الشبه وثيقة الصلة بلغة العرب في مطلع العصر الاسلامي ؛ مما حال دون أن يلم باللغة العربية كبير تطور كذاك الذي أصاب سائر اللغات العالمية ، ومما باعد بين لغتنا الفصحى المتبلورة ولغتنا العامية المتطورة واللغة كما اسلفت كائن حي يتطور كالكائنات الحية ، فمفهوم الزمن يجب ان يدخل في موضوع فلسفة اللغة العربية ، ووجوب تطورها ، ولو أن معاجمنا ليست مبنية على فكرة تطور المعاني وليس لدينا معجم تاريخي للغة .

وفكرة التطور التي تقوم على اعتبار الزمن تقودنا الى النظر في حوادث اللغة نظرة تاريخية يجب ان يحسب لها حساب فمثلاً حين دوّن « ابو الأسود

الدؤلي » (١) النحو بسبب نشوء اللحن في الالسن عمد الى اللغة العربية فاستقرأ نصوصها ثم أخذ يستخرج قواعدها العامة ، ولكن هذه القواعد خاصة بعصر معين ، ولذا كان لزاماً علينا أن نلقي نظرة تاريخية عليها فننظر مثلاً الى المسند إليه في جميع عصور اللغة القديمة والحديثة .

ونلاحظ ما طرأ على أحكامه من تغيير ، وهل هو كما كان منذ وضع القواعد العربية ام ان هناك تطورات لغوية أصابته فبدلت من أحكامه ؟ وكذلك فان علماء التجويد دونوا الحروف كما وجدوها في عصر معين ، ولكن هل هذه الحروف بنيت على ما هي عليه منذ القديم حتى الآن هل تطورت أم لا ؟ وما هي تطوراتها ؟

ثم نتساءل عن التراكيب والجملة العربية فهل هي واحدة في العصر العباسي والاموي وصدر الاسلام ؟

هل الجملة نفسها هي في مؤلفاتهم وكتاباتهم ؟

لاشك أنه ليس هناك اختلاف في طرائق التعبير والتركيب من حين الى آخر ومن عصر لعصر ، وعلم « فقه اللغة » لا يهمل النظر الى هذه الناحية التاريخية (٢) .

---

(١) ابو الاسود الدؤلي : اسمه « ظالم بن عمر » من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رأياً واسدهم عقلاً وكان شيعياً شاعراً سريع الجواب ، ثقة في عربيته صحب علياً وشهد معه « صفين » وقدم الى معاوية فأكرمه واعظم جائزته ، وهو أول من نقط المصحف مات عام (١٧) هـ و (٦٨١) م وقد أسن كان كوفي الدار بصري المنشأ ، وقد تكاثرت الروايات على انه اول من وضع علم النحو وأخذه اولاً عن سيدنا « علي بن ابي طالب » رضي الله عنها .

(٢) من أمالي ومحاضرات الاستاذ « محمد المبارك » الجامعية .

تهذيب اللغة العربية

كلما اتسعت حضارة الامة ، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها ، ورقي تفكيرها ، وتهذبت اتجاهاتها النفسية نهضت لغتها وسمت اساليبها وتعددت فيها فنون القول ودقت معاني مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات اخري عن طريق الوضع والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسميات والافكار الجديدة ... وهلم جراً . (١)

واللغة العربية اصدق شاهد على ما نقول، فقد كان لانتقال العرب من انحطاط الجاهلية الى « حضارة الاسلام » ومن النطاق العربي الضيق الى الافق العالمي الواسع اجل اثر في نهضة لغتهم ورقي اساليبها واتساعها لمختلف فنون الادب وشتى مسائل العلوم. وانتقال الامة من البداوة الى الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها ويزيل ما عسى ان يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة ، وإن موازنة بين حالة اللغة العربية في عهد بداوة العرب قبل الاسلام وحالتها في عهد حضارتهم الاسلامية أو بين ما كانت عليه عند أهل البادية في عصر ما ، وما كانت عليه في الحضر من نفس هذا العصر لأصدق برهان على ذلك ، وان البدوي « علي بن الجهم » (٢) الذي لم يلهمه شيطانه في مدحه

---

(١) انظر كتاب «اللغة والمجتمع» ، «للدكتور علي عبد الواحد وافي»

(٢) علي بن الجهم : ولد بخراسان واصبح من خاصة المتوكل الخليفة العباسي ببغداد أحبه المتوكل ثم نفاه الى خراسان لسعيه بالوشاية والنميمة وصلبه عامله « طاهر بن عبدالله » نهاراً كاملاً ، ولما أنزله قال قصيدة جيدة في ذلك واتهم بكراهة «آل علي» فجفاه الناس فذهب الى الشام فخرج على قافلته جماعة من الاعراب أصابوه بطعنة مات بسببها سنة (٢٤٩)هـ .

للأمير أحسن من قوله :

أنت كالكلبِ في حفاظِكَ للعهـــدِ وكالتيسِ في قراعِ الخطوبِ

قد استطاعت قريحته، بعد أن هذبتها حضارة بغداد، أن تجود بمثل قوله :

عبونُ المَهابينَ الرصافةِ والجسْرِ جلبنَ الهوى من حيثُ أدرى ولا أدري

وقد كان العرب في جاهليتهم من اكثر الشعوب ميلاً الى المساواة بين الافراد ولذلك ساد في خطابهم ضمير المفرد ، ولم تبد في لغتهم مظاهر المبالغة في التبجيل وقد سار القرآن على هذه الطريقة حتى في توجيه الخطاب الى الله عز وجـــل ولكنهم لم يلبثوا بعد اتساع ملكهم ، واحتكاكهم بالامم الاخرى ، وانغماسهم في الترف ومحاكاتهم لأبهة الفرس وأساليبهم في الحياة ، واتجاه خاصتهم وأغنيائهم الى الترفـــع عن الدهماء وطبقات المستضعفين ان انحرفوا عن مبادئهم الاولى فانحرفت معهم أساليب انتهم وساد فيهم خطاب المفرد بضمير الجمع واجراء الخطاب في صيغة الاخبار عن الغائب ، ونفذت اليها ألفاظ « الحضرة والجنـــاب » . . . وما الى ذلك .

وما يكون عليه الافراد من حشمة وأدب في شؤونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث كذلك صداه في انتهم : ألفاظها وتراكيبها .

فاللغة اللاتينية لاتستحي ان تعـــبر عن العورات والامور المستهجنة والاعمال الواجب سترها بعبارات مكشوفة ، ولا ان تسميها بأسمائها الصريحة، على حين ان اللغة العربية بعد الاسلام خاصة تتلمس أحسن الحيل وادناها الى الحشمة والادب في التعبير عن هذه الشؤون فتلجأ الى المجاز في اللفظ وتستبدل الكناية بصريح القول : « قارب النساء ، لمس امرأته ، قضى حاجته . . . الخ »

ولقد كان لها بهذا الصدد في الفاظ القرآن الكريم وعباراته أسوة حسنة

« نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم »(١)، اولا مستم النساء » (٢) « وقد أفضى بعضكم الى بعض (٣) » « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم »(٤) « فاعتزلوا النساء في المحيض (٥) » وما الى ذلك من كريم العبارات ونبيل الالفاظ ، وأكثر اللغات الاوربية تحرجاً في هـذه الناحية « اللغة الانجليزية » فالبطن مثلاً لا يعبر عنه في لغة التخاطب الانجليزيه باسمه الصريح بل يطلق عليه في الغالب The Stomach أى المعدة .

ويتطور مدلول الكلمة في لغة ما تبعاً لتطور الشؤون الاجتماعية المحيطة بهذا المدلول ، فكل تطور من هذا القبيل يتجه بمدلول الكلمة وجهة خاصة وينحرف به قليلاً أو كثيراً عن اوضاعه الاولى ، والامثلة على ذلك تجل عن الحصر في اللغة العربية خاصة ، فكلمة « القطار » مثلا كانت تطلق في الاصل على عدد من الابل على نسق واحد تستخدم في السفر وفي النقل ولكن تغير الان مدلولها الاصلي تبعاً لتطور وسائل المواصلات فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية .

وكلمة « البريد » كانت تطلق على الدابة التي تحمل عليها الرسائل ثم تغير الان مدلولها تبعاً لتطور الطرق المستخدمة في ايصال الرسائل ، فأصبحت تطلق على النظم والوسائل المتخذة لهذه الغاية في العصر الحاضر. وكلمة الريشة Plume كانت تطلق على آلة الكتابة ايام كانت تتخذ من ريش الطيور ، ولكن تغير الآن مدلولها الاصلي تبعاً لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مصنوعة في صورة خاصة .

---

(١) البقرة : ٢٢٣ (٢) النساء : ٤٢
(٣) النساء : ٢٠ (٤) البقرة : ١٨٧
(٥) البقرة : ٢٢٢

وعبارة « بنى الرجل على امرأته » كانت تستخدم كناية عن دخوله بها لان الشاب البدوي كان اذا تزوج يبني له ولاهله خباءً جديداً ، ولكنها فقدت الان معناها الاصلي لانقراض هذا النظام وان كانت لا تزال تستخدم كناية عن الزفاف .

وكثرة استخدام اللفظ العام مثلاً في بعض ما يدل عليه لسبب اجتماعي يزيل مع تقادم العهد عموم معناه ، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله ؛ ولدينا في اللغة العربية وحدها آلاف من امثلة هذا النوع فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الاسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد او الشعائر او النظم الدينية : كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود ... وهلم جراً ؛ « فالصلاة » مثلاً معناها في الاصل « الدعاء » (١) ثم شاع استعمالها في الاسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء حتى اصبحت لا تنصرف عند اطلاقها الى غير هذا المعنى .

و « الحج » معناه في الاصل : «قصد الشيء والاتجاه اليه » ثم شاع استعماله في «قصد البيت الحرام» حتى اصبح مدلوله الحقيقي مقصوراً على هذه الشعيرة ... وقس على ذلك جميع افراد هذه الطائفة .

وكثرة استخدام الخاص في معانٍ عامة عن طريق التوسع لسبب اجتماعي تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم ؛ فمن ذلك مثلاً في اللغة العربية كلمات: البأس والورد والرائد والنجعة وهلم جراً . « فالبأس » في الاصل الحرب ، ثم كثر استخدامه في كل شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه.

واصل « الورد » اتيان الماء وحده ، ثم صار اتيان كل شيء وِرداً لكثرة

---

(١) وقد جاء على الاصل قوله تعالى « وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم» (سورة التوبة : ١٠٤)

استخدامه في هذا المعنى العام ؛ و« الرائد ، في الاصل طالب الكلأ ثم صار طالب كل حاجة « رائداً »

وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي لسبب اجتماعي يؤدي غالباً الى انقراض معناها الحقيقي وحلول هذا المعنى المجازي محله .

فمن ذلك مثلا في اللغة العربية كلمات : « المجد والوغى والنفران ... وهلم جراً».

« فالمجد » معناه في الاصل : امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدا ه مجازاً في الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الاصلي وأصبح حقيقة في هذا المعنى المجازي .

ولهذا السبب انتقل معنى «الوغى» من اختلاط الاصوات في الحرب الى الحرب نفسها ومعنى « النفر » و « النفران » من الستر الى الصفح عن الذنوب .

وكثرة استخدام الكلمة في العبارات المنفية ينزع عنها معناها الاصلي ويكسبها معنى العموم والاطلاق ، فتصبح أشبه شيء بأداة من أدوات النفي ؛ فمن ذلك في اللغة العربية كلمات :« أحد وديار وقط وأبداً ... وما اليها » .

وأهم العوامل التي تؤدي الى انقراض كلمة من الاستعمال ترجع الى انقراض مدلولها نفسه من نطاق الحياة الاجتماعية أو عدم استخدامه فقد انقرض في العربية كثير من الكلمات الدالة على نظم جاهلية قضى عليها الاسلام ، كالمرباع (١) والصرورة (٢) والنوافج (٣) .

---

(١) المرباع: ربع الغنيمة ، كان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية .
(٢) الصرورة: هو الذي يدع النكاح تبتلاً أو الذي يحدث حدثاً ويلجأ الى الحرم.
(٣) والنوافج : الابل تساق في الصداق .

الفصل الثاني

تاريخ اللغة العربية

نشأة اللغة العربية

أطوار نمو اللغة العربية

عوامل نمو اللغة العربية

خصائص اللغة العربية

خصائص اللغة العربية الصوتية

اللغة العربية في عهد الجاهلية

عناية العرب بفصاحة اللغة العربية في عهد الجاهلية

أثر الاسلام في رقي اللغة العربية

أسلوب القرآن وأثره في اللغة العربية

أسلوب الحديث النبوي وأثره في اللغة العربية

ضعف ملكة اللغة العربية تفشى اللحن وأثره ذلك

الشغف بالمحسنات البيانية وأثره في إفساد ملكة اللغة العربية

نشأة اللغة العربية

لم يأت الباحثون عن مبدأ نشأة اللغة في أدلتهم بما تطمئن اليه النفوس ويحل منها محل القطع أو الظن القريب منه ، على أن اختلافهم في تعيين الواضع هل هو « الله تعالى » او البشر مما لا تترتب عليه فائدة في العمل تقتضي العناية بترجيح احد المذهبين .

واللغة العربية احدى اللغات التي أطلق عليها العالم «شلوتسر» Schlozer اسم « اللغات السامية » معتمداً على جدول أنساب « النبي نوح » عليه السلام المذكور في « التوراة » .

ومن هذه اللغات أيضاً : « البابلية ـ الاشورية ، والعبرية والآرامية ، ومنها السريانية والكنعانية والحبشية » وقد انقرض جل هذه اللغات .

ويختلف المؤرخون في موطن اللغات السامية الأول اختلافهم في موطن الأمم السامية الأول ، ويميل جمهورهم الى ان مهد هذه الأمم كان في أرض بابل في العراق ، ومن ثم انتشروا في شتى الانحاء .

وكذلك يختلفون في : أي هذه اللغات اقرب الى السامية الأم ؟ ويرى المستشرق « اولسهوزن» Olhausen أنها العربية وربما كان لا نعزال الامة العربية في جزيرتها التي تحف بها الصحاري والبحار والجبال ما يقوي هذا الرأي ، ولا سيما ان علماء اللغات قد وجدوا في اللغة العربية عناصر قديمة جداً تمت الى السامية الام ولكننا لا نستطيع اعتبار هذا الرأي يقيناً علمياً ثابتاً لعدم توافر الادلة .

واللغة العربية كغيرها من اللغات التي تولدت من اللغة السامية بعد ان استقلت عن غيرها مرت بأدوار متعددة حتى بلغت مرحلة النضج من قلة الالفاظ الدالة على اشياء حسية وكثرة الالفاظ الدالة على اشياء معنوية وتضافر عوامل شتى لنموها وتطورها الى ان استوت على قدميها حين بلغت مرحلة النضج والاكتمال ، شأن كل كائن حي يخضع لقوانين النشوء والنمو .

فالشعر الجاهلي مثلا يصور ويمثل لنا حياة العرب في الصحراء ، ولهذا تكثر فيه كلمات حسية كالسيف والرمل والابل وغيرها .

فلما اخذ العرب يضربون بسهمٍ وافرٍ في المدينة تحت تأثير المدنيات المجاورة لهم اخذت لغتهم ترق وتلين ، واخذت الكلمات الدالة على مدلولات معنوية نفسية تكثر شيئاً فشيئاً .

كما تدل على ذلك الفاظ لغتهم العربية الغنية بالمفردات الدالة على مفاهيم مجردة أو عامة « كالخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم ، والانسان والحيوان » والعواطف « كالمودة والرحمة والبر والمروءة » .

ولقد نشأت اللغة العربية في « الحجاز » « ونجد » كما نعلم ، وأخذت تنتشر شيئاً فشيئاً حتى صارت لغة قبائل مختلفة تعيش في أمكنة متباينة وهذا ما كان يؤثر ويكثر من عدد اللهجات غير أن اللهجة القرشية غلبت هذه اللهجات الاخرى وانتشرت في الجزيرة العربية كلها بفضل انتشار الاسلام وتعلم القرآن .

أطوار نمو اللغة العربية

ليس من اليسير تتبع الاطوار التي مرت بها اللغة العربية لاننا لا نملك نقوشاً ونصوصاً نعتمد عليها في هذا التتبع وتنتهي بنا الى نتائج يقينية . وقد لاحظ اسلافنا منذ العصور الاولى اختلافاً واضحاً بين لغة سكان شمال الجزيرة العربية أو لغة « عدنان » ولغة سكان جنوب الجزيرة او لغة « قحطان » ، فنقل « ابن سلاّم »(١) عن « أبي عمرو بن العلاء » (٢) قوله : « ما لسان حمير اقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا » واورد « ابن فارس » في كتاب « الصاحبي » زعم قوم من العرب :

ان العرب العاربة لم تعرف نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً ، واورد في هذا المجال قصة عن وفود « زيد بن عبدالله بن دارم . . على بعض ملوك حمير « فألفاه فيمتصيّد له على جبل مشرف ، فسلم عليه وانتسب له،

---

(١) ابن سلام الهروي البغدادي (٨١٢ - ٨٣٧) توفي في مكة او المدينة ، كان ابوه عبداً رومياً لرجل من هراة . أخذ عن« ابي زيد الانصاري والاصمعي نسبت اليه رسالة في مارود في القرآن الكريم من لغات القبائل ».

(٢) ابو عمرو بن العلاء : هوزبان بن العلاء المازني (٦٨٩ - ٧٧٠ م) ولد في مكة وتوفي في الكوفة ، من اقدم نحويي البصرة ، جمع في صباه اشعار الجاهلية وعلق عليها الشروحات ، ثم احرقها لما ادركته الشيخوخة وانصرف الى قراءة القرآن : اشتغل بكل علوم اللغة من نحو ولغة وادب واقراء للقرآن على رواية خاصة به ،وعليه تخرج« الخليل بن احمد»مخترع علم العروض وعمل المعجمات اللغوية وسيدُ اهل الادب على الاطلاق ، شيخ «سيبويه والاصمعي وابي عبيدة وابي زيد الانصاري» .

فقال له الملك : ثب اي اجلس ، فظن الرجل انه امره بالوثوب من الجبل فقال : لتجدني ايها الملك مطواعاً ، ثم وثب من الجبل فهلك . فقال الملك : وما شأنه ؟ فخبروه بقصته وغلطه في الكلمة ، فقال : اما انه ليست عندنا عربيت ، من دخل ظَفار حمَّرَ (وظفار المدنية التي كان بها)(١) ... اراد من دخل ظفار فليتعلم الحميرية » .

من هذه الاحاديث وامثالها يتبين لنا : ان العرب أدركوا فرق ما بين لغة عرب الشمال وعرب الجنوب ، وهم يزعمون من جانب آخر ان اللغة العربية الخالصة ، إنما نشأت في « بني قحطان » وهم العرب العاربة ، ثم تعلم « اسماعيل » عليه السلام هذه اللغة وعلمها ابناءه « العدنانيين » فلغة عرب الشمال مأخوذة اذن في الاصل من لغة عرب الجنوب .

أما أن « العدنانيين » اخذوا لغتهم عن « القحطانيين » فهذا مما لا دليل عليه ولا نقطع به ، ولكن البحث قد اثبت هذا الخلاف الذي لاحظه العرب بين لغة اهل الشمال ولغة اهل الجنوب ، فقد عثر على نقوش باللغة الحميرية لا تدع مجالا للشك في مخالفتها للغة العدنانية في ألفاظها وقواعد نموها .

ولا ينبغي ان نفرق تماماً بين اللهجات فليست هناك حدود واضحة تفصل شمالي الجزيرة عن جنوبها وتبين لنا من اين والى اين كانت منطقة انتشار القسم الجنوبي من اللغة العربية ، ومن اين الى اين سادت اللهجات الشمالية منها .

---

(١) تقع في جنوبي صنعاء خرائب كانت تعد حاضرة الحميريين تسمى ظفار ، ومن امثال العرب المشهورة « من دخل ظفار حمر » اي تكلم باللغة الحميرية ...

وقد استطاع المحدثون ان يكونوا فكرة غير بينة عن اللهجات العربية البائدة المنسوبة إلى « بني لحيان ،وثمود ، ومعين » اعتماداً على النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية (نسبة الى ناحية الصفاة من الشام) والمعينية (نسبة الى قبائل معين التي كان وطنها الاول بلاد معين في اقصي اليمن) ..

وقبيل الاسلام اخذت اللهجات الشمالية تتمتع بسيطرة ونفوذ على سائر لهجات الجزيرة ، في حين اخذت لهجات بلاد اليمن تتدهور وتضمحل حتي كادت تفنى في اواخر القرن السادس الميلادي ، وكان مما اعان على سيادة لهجات الشمال التدهور الاقتصادي والسياسى الذي ألمّ ببلاد اليمن ، وانتقال التجارة الى ايدي قريش . فمند ذلك الحين اخذت لغة العدنانيين تتمتع بسلطان بعيد على لغات الجزيرة ، ولم يكن هذا السلطان للغة قريش وحدها كما يتوهم بعض مؤرخي الادب ، واخذت اللهجات العربية تتقارب وتتداخل ، واعان على هذا التقارب عوامل شتى ابرزها : اجتماع العرب في مكة لفضاء مناسك الحج ، واجتماعهم في الاسواق والمواسم التي كانت صبغتها تجارية وادبية معاً ، وكان اكثرها بالحجاز حاضرة التجارة ، كسوق « عكاظ» قرب الطائف ، و« ذي المجاز » خلف عرفة و« مجنة » قرب مكة . فلا جرم ان تسود لغة الشماليين وتتقارب اللهجات العربية .

ولكن توحد اللغة العربية لم يكن متاحاً إلا بتوحيد الامة العربية وهذا ما حدث فعلا بظهور الاسلام وظهور القرآن بلغة قريش فقد تمت بنزوله سيطرة لغة الشماليين وقريش خاصة ، على سائر اللهجات العربية التي اخذت بالانقراض ، والقرآن هو الذي ضم شتات اللهجات العربية في لغة قريش ، الا انه ظلت بعض اللهجات القوية حية بعد الاسلام كلغة تميم ، ثم تكونت من لغة قريش ، ومما بقي حياً من اللهجات العربية ومن الالفاظ الدخيلة المعربة ، هذه اللغة العربية التي تضمها معاجمنا والتي نسميها « العربية الفصحى » .

ويقول الاستاذ «محمد الخضر حسين» : (١)

«وأقصى ما ثبت في التاريخ ان هذه اللغة كانت في قبائل من ولد «سام بن نوح» عليه السلام وهم «عاد وثمود وجرهم الاولى وويار وغيرها» .

وقد انقرضت أجيال هؤلاء إلا بقايا متفرقين في القبائل ، ولا يصح شيء مما يروي عنهم من الشعر ، وقد انكر العارفون على من كتب في السيرة اشعاراً كثيرة ونسبها الى عاد وثمود . ثم انتقلت الى «بنى قحطان» وكانوا يتكلمون باللسان «الكلداني» لسان أهل العراق الاصليين ، وأول من انعدل لسانه الى العربية «يعرب بن قطحان» وبعد أن نشأت منها الحميرية لغة أهل اليمن انتقلت الى اولاد «اسماعيل عليه السلام» بالحجاز ولم تكن لغة «اسماعيل» عربية بل كان عبرانياً على لسان ابيه «ابراهيم عليه السلام» ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرهم الثانية حين نزل بمكة فنطق بلسانهم وورثه عنه أولاده فأخذوا يصوغون الكلام بعضه من بعض ويضعون الاسماء بحسب ما يحدث من المعاني الى ان ظهرت اللغة في كامل حسنها وبيانها وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ» .

---

(١) في كتابه (دراسات في العربية وتاريخها) في بحث اطوار اللغة ص ١٢٠ .

عوامل نمو اللغة العربية

اللغة العربية كباقي اللغات في نشأتها إذ تتألف من مقاطع صوتية بسيطة هي المادة الاولى في اللغة ثم تتعاون عوامل عديدة تنميها وتوسعها . ومن الثابت ان اللغة العربية لم تبلغ مرحلة النضج والتكامل إلا بعد ان تضافرت على انمائها وتوسيعها وتطورها عوامل عدة نذكر منها :

١ ـ التفئيم : وهو زيادة حرف او اكثر في صدر الكلمة أو وسطها او نهايتها . وهذه الزيادة اول مرحلة من مراحل نمو اللغة فالاصول الاولى للغة العرب ولسائر اللغات أصول ثنائية . ـ على نقيض ما يذهب اليه لغويو العرب القدماء من أنها ثلاثية ـ ثم زيد في هذا الاصل الثنائي حرف او اكثر في أول الكلمة أو وسطها ، أو آخرها للدلالة على معان متفرعة من المعنى الاصلي .

فمثال الزيادة في الوسط من الاصل الثنائي « لم » نجد : لدم ، لطم ، لثم لكم ، الخ . . . وكلها تدل على الضرب إلا ان كلاً منها يدل على نوع منه . .

ومثال الزيادة في الآخر : « قط » ، قطع ، قطف ، قطم ، قطل . . . وكلها لأنواع مختلفة من القطع .

ومثال الزيادة في الاول : « له » ، أله ، يله ، دله ، عله ، وله ، وكلها تدل على معنى التحير والجزع .

ولبعض لغويي العرب القدماء ، « كابن جنى » « والزمخشرى » لفتات الى ما يقوم بين الالفاظ من الاشتراك في المعنى حين تشترك في حروفها أو تتشابه ، وسيأتي بيان ذلك .

٢ ـ القلب المكاني : ويراد به التقديم والتأخير في أحرف الكلمة الواحدة ، وهو أمر طبيعي في كل اللغات ، ونجده واضحاً في لغتنا العامية في نحو : « معلقة وملعقة » ، ومن أمثلته في اللغة العربية : « جبذ وجذب وصاقعة وصاعقة ، ورجل شائك السلاح وشاكي السلاح » . وقد يختلف المعنى مع القلب وقد لا يختلف .

٣ ـ الابدال : وهو وضع حرف مكان آخر ؛ وأمثلته كثيرة في لغة العرب ، نحو قولهم : « الوأل والوعل والوغل » بمعنى اللجوء ونحو : « أراق الماء وهراقه ، وماء السنور وماغ » .

٤ ـ النحت : وهو صوغ كلمة من كلمتين أو اكثر نحو : « عبشمي وعبقسي » نسبة إلى (عبد شمس وعبد قيس) ، ونحو : « بسمل » إذا قال : (بسم الله) ، و « حوقل » اذا قال : (لا حول ولا قوة الا بالله) و « سبحل » اذا قال : (سبحان الله) و« حسبل » اذا قال : (حسبي الله) ومنها « العنعنة » اذا قال : (عن فلان عن فلان) و « القلقلة » اذا قال : (قال فلان قال) .

٥ ـ التعريب : أخذت اللغة العربية منذ أقدم الازمان الفاظاً كثيرة من لغات الامم المجاورة ، على رغم انعزالها النسبي ، وفي شعر الجاهليين ، والاعشي خاصة ، وفي القرآن الكريم طائفة كبيرة من الالفاظ المعربة نحو : « استبرق ، وجهنم ، وطوبى ، وزنجبيل ، وكافور الخ » . ولا تنفرد

اللغة العربية بالأخذ من اللغات الاخرى بل هو امر تشترك فيه اللغات جميعاً ، وينجم من اتصال الامم بعضها ببعض من طريق المجاورة او التجارة او الحرب .

٦ ـ الاشتقاق : اللغة العربية من اللغات الاشتقاقية ، والاشتقاق هو اهم العوامل في نمو اللغة واتساعها ، وهو أداة المجامع اللغوية حين تقصد الى وضع مصطلحات جديدة أو تعريب الفاظ دخيلة ، فـ«ضرب» يشتق منها : ضارب ومضروب ومضرب وضراب وغيرها من الصيغ .

٧ ـ الاصطلاح او التخصيص : اضيف الى اللغة العربية طائفة كبيرة من المصطلحات لعل من اقدمها تلك المصطلحات التي جاء بها الاسلام كلفظ « الاسلام » نفسه و « الصلاة ، والزكاة ، والكفر ، والصيام ، والنفاق » وغيرها من الالفاظ التي أوجد لها الاسلام معاني جديدة غير معانيها الاولى . .

٨ ـ المجاز : لا تحتفظ الكلمة بمعناها الاصلي بل سرعان ما يكسبها الاستعمال معاني اخري مجازية تتصل بالمعنى الاصلي بصلات أبرزها « المشابهة » واذا اذاع استعمال المعنى المجازي لغرض من الاغراض صار بمثابة الحقيقة ، ولا

سيما اذا لاحظنا ان اكثر الالفاظ كان يدل في اول نشوئه على المعاني المادية ثم صار يدل على المعنويات كلفظ « العقل » مثلا فانه من « عقل البعير » أي ربطه ، وكلفظ « الرحم » بمعنى « القرابة ثم الرحمة » فهما من « رحم المرأة » . وقد ضاعت الاصول الاولى لكثير من الالفاظ ولم تبق الا المعاني المشتقة منها .

خصائص اللغة العربية

يذكر اللغويون خصائص تمتاز بها اللغة العربية ، على سائر اللغات جمعاء فهي :

١) من اللغات السامية لاشتمالها على عناصر جـــد قديمة تمت الى الساميـة الأم .

٢) أنها أقرب اللغات السامية من الاصل ، اذا صح رأي « أو لسهوزن »

٣) أنها أكثر مرونة وتصرفاً من أخواتها .

٤) الاعراب : الذي نجده في آخر الكلـــم ، والواقـع أن بعض اللغات القديمة عرف الاعراب ، ولا تزال تعرفه من اللغات الحاضرة الحبشية والالمانية .

٥) دقة التعبير : استوعب العرب كل ما أحاط بهم فأطلقوا عليه اسماً يميزه ، كأنواع الرياح والسحاب والمطر والحيوان وأصواته ونحو ذلك . والحق ان العرب قد استوعبوا ما احاط بهم كل الاستيعاب ولكـن لا ينبغي ان ننسى من جانب آخر ان بيئة العرب كانت محـــدودة قليلة التنوع ، فهذه الدقة محـــدودة في نطاق ضيق ، حتى لقد اضطر العرب منذ صدر الاسلام ان يعربوا كثيراً من الالفاظ التي لا عهد لهم بمسمياتها ، والدواوين الشعرية وكتب الأدب واللغة مليئة بألفاظ لادق التفاصيل والجزئيات التي لاحظوها : المشي ، الهرولة ، الركض ، القهقـــري ، التمايل ، التبختر ، الهويني ، القفز ، التدله ، التثني .

٦) خصب المفردات ، وهي اللغة الاولى من حيث كـــثرة المفردات . ومعاجمها اللغوية الواسعة تشهد بذلك .

٧) كثرة المترادفات : التي تدل على سعة اللغة العربيـــة ودقتها في التعبير عن المعاني .

٨) وجود الالفاظ المتضادة: التي تحمل معنيين متضادين نحو «الجَلَل (١)

و « الصعلوك » ويطلق على الامر العظيم والصغير .

و « الجون » للأسود والابيض .

وهذه الخصيصة تنفرد بها اللغة العربية دون سائر اللغات .

٩) الجموع المتعددة : التي لا نظير لها في اللغات الاخرى ، فالكلمة قد يكون لها ثلاثة جموع أو أكثر . فـ« نهر » يجمع على : « أنهار وأنهـــر ونُهُر ونهُور» .

وسبب هذا كله توزع الامـة العربيـة الى قبائل شتى لـكل منهـا لهجتها ولغتها ، فلما توحدت اللغة فيما بعد كثرت فيها المفردات المترادفـة والاضداد والجموع والمصادر ، ثم ان كثيراً من هذه الالفاظ المترادفـــة كان في الاصـل صفات ثم جـرى مجرى الاسماء كأغلب اسمـاء السيف والاسد والناقة والداهية » .

خصائص اللغة العربية الصوتية

١ ـ مخارج الحروف في اللغة العربية تبدأ من اقصى الحلق الى الشفتين ، فهذه السعة في المدرج الصوتي لا نجد له نظيراً في لغة أخرى من اللغات ، وهذا المدرج الفطرى يوجد فيه أقصى ما يمكن أن تكون عليه الاصوات .

٢ ـ خلود اللغة العربية من ناحية أصواتها فعين وغين « امرىء القيس » (١) هي نفسها حروفنا اليوم بالضبط ، وما طرأ عليها من تبدلات فهي طارئة ، واللغة بمجموعها تبقى على حالها خالدة لم تزدد ولم تنقص .

---

(١) «امرؤ القيس بن حجر الكندي» أشهر شعراء الجاهلية ، وأحد الاربعة المقدمين على غيرهم من شعرائها وهم : « امرؤ القيس والنابغة وزهير والاعشي ». كان يعيش قبل الاسلام بنحو ثمانين سنة . له ديوان شعر مطبوع ، ومنه معلقته ومطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل يلقب بالملك الضليل لقوايته وعهده وهربه ، وبدى القروح لما أصيب به في مرضته.

اللغة العربية في عهد الجاهلية

كانت اللغة العربية في عهد الجاهلية تعبر عن حاجات القوم وما تجود به قرائحهم أو يجري في مخيلاتهم من صور المعاني ، فما كانوا ليحسوا نقصاً في لغتهم ، وإنك لترى المذاهب التي كانوا يطلقون فيها أعنتهم كالفخر والنسيب ، فسيحة الارجاء الى أقصى ما يمكن ان يبلغه الناشيء في مثل بيئتهم ، الآخذ من المعاني المحسوسة أو المعقولة مثل مأخذهم . ومن نظر في أشعارهم وخطبهم ومحاوراتهم وجد من جودة تصرفهم في المعاني وحسن سبكهم للالفاظ ما يدله على انهم كانوا يرسلون الفكر والخيال ويصوغون ما شاءوا من المعاني ، فيجدون في ألفاظ لغتهم وأساليبها ثروة تساعدهم على ان يقولوا فيبدعوا ، واليك مثلا من ابداعهم في الفخر بالبسالة والثبات في حومة الوغي ، قال «ودّاك بن ثميل المازني» يخاطب بني شيبان :

رويدَ بني شيبان بعضٌ وعيدكم ... تلاقوا غداً خيلي على سَفوان

تلاقوا جياداً لانحيد عن الوغى ... إذا ما غدت في المأزق المتداني

عليها الكماة الغُرُ من آل مازن ... ليوثُ طعانٍ عند كل طعان

تلاقوهم كي تعرفوا كيف صبرهم ... على ما جَنَت فيهم يد الحدثان

مقاديمُ وصّالونَ في الروع خطوهم ... بكل رقيقِ الشفرتين يمان

إذا استُنجدوا لم يسألوا من دعاهمُ ... لأية حربٍ أم بأيِ مكان.

عناية العرب بفصاحة اللغة العربية في عهد الجاهلية

يدلنا على مبلغ عناية العرب في الجاهلية بأمر الفصاحة ما وصل الينا من نتائج افكارهم وبدائع خطبهم وقصائدهم في سوق « عكاظ » وسوق «مجنة» وسوق « ذي المجاز » إذ يفدون عليها في موسم الحج ويقيمون في « عكاظ » ثلاثين يوماً وفي « مجنة » سبعة أيام يتناشدون ما وضعوه من الشعر ويتفاخرون بجودة صناعة الكلام ، وعند احتفالهم يضربون قبة للشاعر العظيم في وقته « كالنابغة الذبياني » (١) ويعرضون عليه منتخبات أشعارهم وكان بعضهم يهدد بعضاً بنظم الهجاء وتسييره في ذينك الموضعين . قال « أمية بن خلف » يهدد « حسان بن ثابت » (٢) رضي الله عنه :

ألا من مبلغٌ حسانَ عني مغلغلةً تدبُ إلى عُكاظِ

وقال « حسان » في جوابه :

أتاني عن أميةَ زورُ قولٍ وما هو في المغيب بذي حفاظ
سأنشرُ إن بقيت له كلاماً ينشر في المجنة مع عكاظ

---

(١) « النابغة الذبياني » هو أبو أمامة زياد بن معاوية احد فحول الشعراء الاربعة ، لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير .

(٢) « حسان بن ثابت » هو ابو الوليد الانصاري ، نشأ في الجاهلية نابهاً في الشعر يمدح المناذرة والغساسنة ، وقد اسلم مع الانصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول ﷺ محبباً إليه والى خلفائه حتى مات في خلافة معاوية سنه ٥٤ هـ .

ومن شواهد هذا أن « الحارث بن حلزة اليشكري » (١) كان شاعراً حكيماً ولكنه ابتلى بوضح (برص) ومن أجله كان « عمرو بن هند » (٢) ملك الحيرة يكره النظر إليه ويأبى أن يستمع الى خطابه الا من وراء ستار فدخل عليه يوماً وأنشد بين يديه قصيدته المعدودة في المعلقات :

آذنتنا ببينها اسماءُ ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

وتعرض فيها الى شتى ومن الصلح بين « بكر وتلقب » فبهرت عمراً برائع نظمها واستولت على ليه بسحر بيانها فأخذته هزة وارتياح لم يتمالك ان امر برفع الستار الذي بينها .

واقتضت عناية العرب لذلك العهد بالابداع في القول والتنافس في مقام الفصاحة ان ظهرت معجزة « الرسول » ﷺ في بلاغة ما انزل عليه من القرآن ، كما جاء « عيسى » عليه السلام يبريء الاكم والابرص ويحي الموتى باذن الله كما ارسل الى قوم توفرت عندهم العناية بعلم الطب ؛ وكما بعث « موسى » عليه السلام الى امة انتهى السحر فيها الى غاية فأتاهم في مقام المعجزة بأبدع ما يكون في قلب الاعيان واراءتها في غير سيرتها الاولى .

ثم ارتقت اللغة في صدر الاسلام الى طورها الاعلى ودخلت في اهم دور يحق علينا ان نسميه « عصر شبابها » فنمت عروقها وأثمرت غصونها بألوان مختلفة من الاساليب .

---

(١) « الحارث بن حلزة اليشكري » : احد فحول الشعراء المقلين وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة ومطلعها :

آذنتنا ببينها اسماءُ ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

(٢) « عمرو بن هند » ملك الحيرة

ومن مآثر هذه الحياة الراقية أن كان كلام الناشئين في الاسلام من العرب أحلى نسقاً واصفى ديباجة من كلام الجاهلية في شعرهم وخطبهم ومحاوراتهم .

اثر الاسلام في رقي اللغة العربية

ان الاسباب التي ارتقت بها اللغة العربية حتى بلغت أشدها وأخذت زخرفها أمور ثلاثة :

١ ـ ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول فانه جرى في اسلوبه على منهاج يخالف الاساليب المعتادة للفصحاء قاطبة ، وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة واتفق كبراؤهم على اصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به ، وان تفاضل الناس في الاحساس بلطف بيانه تفاضلهم بسلامة الذوق وجودة القريحة .

وهكذا فقد طلع القرآن الكريم على العرب وفي هدايته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون بل في هدايته ما لم تفِ اللغة يومئذ بالدلالة عليه فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة غناء ورونقاً ، وسلك في البلاغة مذاهب ينقطع دونها كل بليغ ، وحين حاول بعض فصحاء العرب وشعراؤهم واهل البيان منهم « كالوليد بن المغيره » (١) مضارعة القرآن الكريم أتوا بالمضحك من القول لدرجة انهم اصبحوا سخرية امام اقل العرب فهماً لبيان اللغة وفصاحتها .

٢ - ما تفجر في أقوال الرسول ﷺ من ينابيع الفصاحة وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والابانة عن الغرض بدون تكلف . روي أن « أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : « لقد طفت في احياء العرب فما رأيت أحداً أفصح منك يا رسول الله ، قال :

« وما يمنعني وأنا قرشي وأرضعت في بني سعد » (وبنو سعد أفصح قبيلة في العرب بعد قريش) .

ومن الواضح الجلي أن « الحديث النبوي » الشريف في الذروة من الفصاحة والبلاغة .

والمجال ضيق عن إيراد بحث في « الاستشهاد بالحديث الشريف في اللغة العربية » وذكر الخلاف في الاحتجاج بالحديث ووجهة نظر المجوزين والمانعين ومناقشتهم وحسبنا أن ننقل هنا خلاصة لهذا البحث أوردها الاستاذ « محمد الخضر حسين » رحمه الله في كتابه « دراسات في اللغة العربية ، بعد عرضه هذا الموضوع الشائك عرضاً علمياً دقيقاً وخلص منه بقوله : وخلاصة البحث : «انا نرى الاستشهاد بألفاظ ما يروي في كتب الحديث المعروفة في الصدر الاول وان اختلفت فيها الرواية ، ولا نستثني الا الالفاظ التي تجيء في رواية شاذة او يغمزها بعض المحدثين بالغلط او التصحيف غمزاً لا مرد له ، ويشد ازرنا في ترجيح هذا الرأي ان جمهور اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالالفاظ الواردة في الحديث ولو على بعض رواياته » .

٣ ـ ما أفاضه الاسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم

السامية وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل والتئام بعضها ببعض من الافكار ومطارحة الآراء ، ومعلوم ان اتساع العقول وامتلاءها بالمعارف مما يرقى مداركها ، ويزيد في تهذيب ألمعيتها فتقذف بالمعاني المبتكرة وتبرزها في أساليب مستحدثة فان كثرة المعاني ودقتها تبعث على التفنن في العبارة والتأنق في سياقها، ويوضح هذا : أن الناشئين في الحواضر نجدهم في الغالب اوسع غاية في اجتلاب المعاني الفائقة ، واهدى الى العبارات الحسنة ممن يعادلها في جودة القريحة وفصاحة المنطق بفطرته لاشتمال المدن على معانٍ شتى ينتزع الذهن منها هيئات غريبة لا طريق لتصورها الا المشاهدة .

ثم ان فتح الاسلام الممالك الكبيرة كبلاد الفرس والروم زاد مجال اللغة العربية بسطة بما نقل اليها من المعاني العلمية او المدنية .

ففضل الاسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها ، وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها ، وكثرة الاغراض التي يتسابق اليها فرسان الخطابة والكتابة والشعر .

أسلوب القرآن وأثره في اللغة العربية

القرآن كتاب هداية الى توحيد الله وعبادته وتنزيهه عن مشابهة خلقه ، والى مكارم الأخلاق والآداب ، وكتاب شريعة لحقوق الأسرة والامة في خاصة نفسها وفي علاقتها بغيرها .

وقد نزل على أسلوب من الكلام لا يضارعه أسلوب قبله ولا بعده من كلام البشر فلا هو شعر ، ولا هو سجع ملتزم ، ولا هو مزاوجة دائمة ، ولا هو نثر مرسل إرسالَ الحديث ، ولا هو خطابة . وإنما هو نظم بديع من كلام عذب اللفظ محكم الوضع ، باهر الروعة ، حصيف المعنى ، فصل بين أجزائه تفصيلاً تشعر النفس عند انتهاء أي فاصلة منه بانتهاء القول ، وتطمئن الى الوقف عليها لو تعلق بها ما بعدها . وتتنوع طرقه في الاقناع تنوع طبائع المخاطبين به : فمن قصص على أشكال مختلفه في إطناب او إيجاز او توسط ، وبفواصل طوال او قصار او متوسطة ، ومن استدلال على حقائق الامور بالآثار المشاهدة في خلق السماوات والارض ، او ضرب الامثال ، أو بقياس الغائب على الحاضر ، أو بالبرهانات النظرية ومن تصريح وتكرير الى كناية وإيجاز .

كل أولئك مصور بصورة فوق طاقة البشر من الاحكام والبلاغة وصحة الحكم ، وانتفاء التناقض والاختلاف ؛ فان البشر اذا أجاد أحدهم في فن من الكلام قصر في غيره .

« أفلا يتدبرونَ القرآنَ ، ولو كانَ منْ عندِ غيرِ الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . (١) »

---

(١) النساء . ٨٢

والقرآن قرآن بمجموع ألفاظه ومعانيه ، والتعبير عن معانيه بألفاظ غير ألفاظه يخرجه عن صورته الـــتي نزل بها ، وأعجز البشر محاكاتها في فصاحتها وبلاغتها . لذلك عني المسلمون بحفظه جد العناية .

وقرأوه بلغة قريش المنزل بها ، فكان ذلك بمثابة تصديق لقوله تعالى « إِنَّا نحنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ ، وإنَّا لهُ لحَافِظُونَ (١) » وكان لحفظه قائماً بصورته طوال تلك القرون الخالية أثر عظيم عاد على اللغة العربية وأدبها بفوائد شتى .

فأما آثاره في اللغة العربية الفصيحة فمنها :

١) خلودها وحفظها من الانقراض ، كما انقرض غيرها من اللغات القديمة التي تعد الآن من اللغات الأثرية .

٢) توحيد لهجاتها في لهجة قريش أفصح اللهجات العربية فكان من ذلك التئام لصدوعها ، وجمع لشتيت قبائلها في لغة العبادة والقراءة والكتابة : «لغة القرآن» .

٣) توسيع نطاقها بالتوسع في استعمال بعض ألفاظها لتتسع للمعاني الدينية والفقهية ؛ مما سمي بالالفاظ الاسلامية ، كلفظ : « المؤمن والكافر والمنافق والصلاة والصوم والزكاة » ونحو ذلك .

٤) تهـــذيب ألفاظها وأساليبها ، وذلك بكثرة ترديد المسلمين لآياته على السنتهم في الصلاة والعبادة ، وطول درسهم له وتفهمهم إياه واستنباط أحكام دينهم وشريعتهم منه ، فنشأ من ذلك أن هجر كـــثير من الالفاظ الحوشية المعيبة ، واستبدل بها ألفاظ القرآن العذبة السائغة ، وعدل عن الاساليب القديمة المعقدة والمتداخل بعضها في بعض الى أساليبه السهلة الممتنعة .

---

(١) الحجر : ٩

٥) جعل اللغة العربية لغة عامة رسمية لجميع الممالك الكثيرة التي افتتحها المسلمون ، لان جمهرتهم أسلموا واندمجوا في العرب ، فاضطروا الى هجر لغتهم الاصلية وتعلم العربية للتفاهم مع أوليائهم من العرب وتفهم القرآن والسنة لاخذ أحكام دينهم ومعاملتهم بها .

٦) إن شدة حرص المسلمين على تفهم القرآن من حيث معرفة ألفاظه والوقوف على معانيها الوضعية والمجازية وأساليبه المختلفة وكناياته الدقيقة حملتهم بل فرضت عليهم تتبع الفاظ اللغة العربية الفصيحة من العرب الموثوق بخلوص عربيتهم ، فكان من ذلك ان تجرد ألوف من الرواة يجمعون اللغة وشعرها وحكمها وامثالها ووصاياها وخطبها حتى أسجاع كهانها ؛ فجمعوا من ذلك مئات الكتب والرسائل ، وتألفت بذلك مادة « الادب القديم » التي صارت فيما بعد أساساً للآداب العربية في موضوعاتها واغراضها ومعانيها وتصوراتها وأخيلتها .

٧) محاكاة الشعراء والكتاب والخطباء لعبارات القرآن في الفاظه وأساليبه واقتباساتهم آياته فيما يقولون ، واستشهادهم بها في وعظهم ومحاورتهم وجدلهم ، حتى اشترط كثير من أئمة الدين إيراد بعض آي القرآن في خطب الجمع . ويرى المتتبع لشعر المخضرمين في أول الاسلام - « كحسان بن ثابت ، (١) وأبي قيس صرمة ، وكعب بن مالك (٢) والحارث بن عبد المطلب » واشعر الاسلاميين - كثيراً من ألفاظ القرآن وأساليبه وكناياته وأساليبه .

(١) تقدمت ترجمته في بحث : « عناية العرب بفصاحة اللغة العربية في عهد الجاهلية .» ص ٩٤

(٢) كعب بن مالك الخزرجي : من شعراء الرسول ﷺ واصحابه نشأ في المدينة وأسلم ودافع أعداءَ الرسول عنه .

٨) تخليده صور البيان الرائع والاساليب البديعة التي استخرجها بعدُ الأدباء منه ، وسموها « المحسّنات البديعية »

٩) إتيانه بكـــثير من القصص المسوقة للعبرة والذكرى ، كقصص الانبياء وبعض الملوك ، إذ كان ذلك من أهم الاسباب التي حملت المسلمين على درس تاريخ العرب البائدة والامم القديمة السامية وغير السامية ، مما جعل التاريخ العربي ذا فنونٍ وشعب كثيرة العدد والمباحث ؛ وجعله من أجـــل كتب الادب العربي .

١٠) إحداثه لكثير من العلوم اللغوية والادبية والشرعية التي أكسبت الآداب العربية فراهة (١) وعظماً .

وهذه نماذج من آي القرآن الكريم وأسلوبه الرفيع المعجز .

١) «يأيها الناسُ اعبدوا ربَّكم الذي خلقكم والذينَ من قبلِكم لعلكم تتقون الذي جعلَ لكم الارض فراشاً (٢) والسماءَ بناء (٣) وأنزلَ منَ السماءِ ماءً فأخرجَ به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً (٤) وأنتم تعلمون .» (٥)

٢) «مثلُ الذينَ ينفقونَ أموالهم في سبيلِ اللهِ كمثلِ حبةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ في كلِ سنبلةٍ مئةُ حبةٍ واللهُ يضاعفُ لمنَ يشاءُ واللهُ واسعٌ عليمٌ .(٦) الذين

---

(١) فراهة : ظرافة وحسناً .
(٢) فراشاً : كالفراش المبسوط .
(٣) بناء كالقبة المضروبة عليكم .
(٤) الأنداد : جمع ند : المثل . (٥) سورة البقرة : ٢١
(٦) واسع : لا يضيق فضله ، عليم : عالم بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

يُنفِقُونَ أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنّاً (١) ولا أذىً لهم أجرُهم عندَ رَبِهِمْ ، ولا خوفَ عليهِمْ ولاهُمْ يحزنونَ » (٢)

٣) « فبما رحمةٍ (٣) من اللهِ لِنْتَ لهم ، ولو كنت فظاً غليظ (٤) القلب لا نفضوا من حولك (٥) ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت (٦)فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ، وعلى الله فَلْيَتَوكلِ المؤمنون » . (٧)

لقد سحر القرآن الكريم العرب وقصة إيمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقصة تولى الوليد بن المغيرة ، نموذجان من قصص كثيرة للايمان والتولى ؛ وكلتاهما تكشفان عن هذا السحر القرآني الذي أخذ العرب منذ اللحظة الأولى. (٨)

أما عمر فقال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام وذلك بعد أن قرأ صدر سورة طه وقال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه .

وأما الوليد فلما سمع الرسول ﷺ يقرأ في صلاته وهو قريب منه ، وأعاد الرسول قراءة الآية لما فطن لا ستماعه انطلق حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال : « والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ، ما هو كلام الانس ولا من كلام الجن ، والله إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ومايعلى » ثم انصرف الى منزله ، فقالت قريش : صبأ

---

(١) المن : أن يعتد الانسان باحسانه على من أحسن اليه .
(٢) سورة البقرة : ٢٦١ (٣) اي فبرحمة : وما زائدة للتأكيد.
(٤) الفظ : سيء الخلق الجافي . غليظ القلب : قاسيه
(٥) انفصوا من حولك تفرقوا عنك . (٦) فاذا عزمت وطنت نفسك على شيء بعد الشورى. (٧) سورة آل عمران : ١٥٩
(٨) «انظر كتاب التصوير الفني في القرآن» ـ للاستاذ « سيد قطب» .

والله الوليد ، ولتصبون قريش كلهم ، فأوفدوا إليه أبا جهل يحتال لصرفه عن الاسلام إن كان نوى الدخول فيه ، وما زال به حتى قام معه الى مجلس قومه فقال لهم : تزعمون ان محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يخنق قط ؟ تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط ؟ تزعمون أنه شاعر وما فيكم أحد أعلم بالشعر مني ، فهل رأيتموه ينطق بشعر قط ؟ تزعمون أنه كذب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب ؟

ويسألهم ويجيبونه : كلا في كل سؤال حتى أعياهم ان يردوا كلامه فسألوه رأيه في تفسير بلاغة القرآن ، ففكر ثم قال :

ما هو الا سحر يؤثر ! أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهـــله وولده ومواليه ؟ فهو ساحر ، وهذا هو السحر المبين .

وهكذا فقد ذهب بعض الباحثين (١) استنتاجاً مما ذكره علماء المسلمين عن بلاغة اللغة القرآنية او هذه البلاغة كانت هي المؤثر الاول في إيمان الذين امنوا في نجاح الدعوة النبوية . ومع كون اللغة القرآنية في الذروة العليا من البلاغة ليس محل شك فان في هذا الحصر شيئاً من الخطأ فيما نعتقد ، إذ يجب ان يضاف الى ذلك روحانية القرآن وقوة نفوذه بل إن هذه وتلك يجب ان تكونا مقدمتين. وان أثر فصاحة القرآن وبلاغته اللغوية حملت كثيراً من الكتابيين على الاسلام ويحتمل أن لا يكونوا عرباً ومن يجيدون العربية ويتذوقون بلاغتها بقوة والى امثالهم على الارجح نسب الكفار تعليم النبي كما جاء في آية النحل : « ولقد نعلمُ أنهم يقولونَ انما يعلمهُ بشرٌ لسانُ الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين . (٢) »

---

(١) فيليب حتى وكابتاني .

(٢) سورة النحل : ١٠٣

وقد جاء القرآن الكريم في نظمه وسوره وآياته وقصصه وعظاته وتلقيناته وأمثاله وخطابه وحججه وجـــداله أسلوبا رائعاً متميزاً في ذلك كله بخصوصيات جعلته فذاً بالنسبة لاسلوب الكتب السماوية السابقة ، وبالنسبة لما هو مألوف من أساليب النظم والسبك والخطاب ، ذا طابع خاص خالد مما لايصح ان يقاس عليه انواع الكلام .

واساليب الكتب والتأليف ، ومما يصح ان يعد أسلوباً خاصاً فيقال : ان اللغة العربية نظم ونثر وقرآن ، كما قال كبير من أدباء العربية الحديثين بقطع النظر عن الباعث عنده على هذا القول ، ومما يصح أن يكون معيناً لا ينضب من فنون النظم والسبك وسمو الطبقة (١) .

ولا أجد خاتمة أفضل مما قدم به القرآن نفسه مشيراً

الى معنى الاعجاز : « آلم ذلكَ الكتابُ لاريبَ فيهِ »
والى معنى الهداية : « هـــدىً للمتقينَ . »

والى الصلة بالعالم الغيبي : « الذينَ يُؤْمنونَ بالغيب ويقيمونَ الصلاةَ ومِمَّا رزقناهُمْ يُنْفِقُونَ . والذينَ يؤمنونَ بما أُنزِلَ اليكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبلِكَ وبالآخرةِ هُمْ يُوقِنونَ »

والى الهداية الفردية . . . « أولئك على هدى من ربهم »
والى عنصر الخير والمصلحة : « وأولئكَ هُمُ المفلحون (٢) » .
فالقرآن الكريم : كلام رب العالمين ، هدي ونور ، واعـــلام وتذكير

---

(١) القرآن المجيد ـ محمد عزة دروزة .
(٢) سورة البقرة : ١ ـ ٥

وانذار وتبصير ،وعلم وعرفان، بلسان عربي مبين في اعلى طبقات البلاغة ، معجز في لفظه ونظمه واسلوبه ومعجزة للنبي ﷺ في صدق رسالته،له ابهى طلاوة وفيه اعظم حلاوة ، كلما زدته تلاوة . فيه من الاسرار عجائب ومن العلوم غرائب. ايات بينات وحكم بالنات وضحت به الحجة ، وتمت به الحجة على الثقلين كافة ويهدي الله لنوره من يشاء (١) . وليس في قدرة بشر معارضة هذا الاسلوب وهذا هو الصريح من معنى قوله تعالى :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٢) .

ومن قرآن « مسيلمة الكذاب » الذي زعم انه ينزل عليه به من السماء ملك يسمى رحمن قوله : الفيل ما الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له ذنب وبيل وخرطوم طويل ... وقوله في الضفدع :

يا ضفدع بنت ضفدعين ، تقي ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين .

وقوله في معارضة سورة الكوثر : إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ... وقوله : والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً والذرايات قمحاً والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، إهالة وسمناً ..

لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغي فناوئوه (٣) .

---

(١) القرآن ـ محمد حسنين مخلوف (٢) سورة الاسراء : ٨٨
(٣) تاريخ آداب العرب ـ مصطفى صادق الرافعي ـ الجزء الثاني ص ١٧٨.

أسلوب الحديث النبوي وأثره في اللغة العربية

كان رسول الله ﷺ أفصح العرب لهجة ، وأبلغهم حجة وأعذبهم كلماً واغزرهم حكماً ، واوجزهم عبارة ، واعلمهم بلغات قبائل العرب ، واقدرهم على مخاطبة كل قبيلة بلهجتها .

فلا جرم ان يكون المأثور عنه من « الحديث » صفوة اللغة وحلية البيان بعد القرآن ، يقتبس الأديب من لفظه وينتفع البليغ بصوغه ، ويستمد مفسر القرآن من اثره ويستكمل الفقيه الأحكام الشرعية من نصه ، ويشيد اللغوي صرحاً للغة من كلمه ويستظهر الحكيم بحكمته ؛ اذ كان صلوات الله عليه لا ينطق بلغو ولا يقصد الى غير توضيح قرآن ـ او تقرير شرع او هداية الى الحق او تنفير من شر او حكمة ينتفع بها الناس في امور دينهم ودنياهم .

ولم يدون الصحابة رضي الله عنهم احاديثه من ساعة نطق بها خشية ان على يختلط على عامة المسلمين المروي منها بالمروى من القرآن ، ولكن من امن منهم على نفسه ذلك الاشتباه كان يقيد بعضه بالكتابة لنفسه .

وللرسول ﷺ من مجاز اللغة كلمات لم يسبق اليها ، منها قوله عند احتدام الحرب : « الآنَ حَمِيَ الوطيسُ »

وقوله في الاهبة للحرب : « يا خيلَ اللهِ اركبي »

وقوله : « ماتَ حَتْفَ انفِهِ » وقوله : «هذا يومُ له ما بَعْدَهُ »

وله من جوا مع الكلم ما يجلو صدأ النفس ، ويشرح ضيق الصدر . من ذلك قوله ﷺ :

١) «مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب (١) والفراش يقعن (٢) فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم (٣) عن النار وأنتم تفلتون من يدي». (رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه، ورواه احمد والبخاري باختلاف يسير).

٢) مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء. فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها أجادب (٤) أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان (٥) لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك (٦) مثل من فقه في دين الله تعالى، ونفعه ما بعثني الله تعالى به فعلم وعلم ومثل (٧) من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

(متفق عليه عن ابي موسى رضي الله عنه).

٣) «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى (٨) له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه).

---

(١) الجنادب: ضرب من الجراد تسميه العامة القبوط.
(٢) يقعن: يدخلن فيها من غير روية.
(٣) الحجز: جمع حجزة: معقد الازار.
(٤) اجاديب: جمع أجدب وهو جمع جدب: القفر اليابس.
(٥) القيعان: جمع قاع: أرض سهلة مطمئنة انفجرت عنها الجبال
(٦) إشارة الى المثل الأول: الطائفة الطيبة.
(٧) إشارة الى المثل الاخير.
(٨) دعا بعضها بعضاً لمشاركته في الألم.

٤) « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل (متفق عليه عن انس رضي الله عنه ورواه احمد والنسائي).

قال الاستاذ « مصطفى صادق الرافعي (١) » يصف البلاغة النبوية :

« هـذه هي البلاغة الانسانية التي سجدت لأفكار لآياتها، وحسرت (٢) العقول دون غاياتها ؛ لم تُصنع وهي على الاحكام كأنها مصنوعة ؛ ولم يتكلف لها ، وهي على السهولة بعيدة ممنوعة (٣) .

ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، فهي ان لم تكن من الوحي ، ولكنها جاءت من سبيله ، وان لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله .

محكمة الفصول ، حتى ليس فيها عروة مفصولة ، محذوفة الفضول ، حتى ليس فيها كلمة مفضولة . وكأنما هي في اختصارها وافادتها . نبض قلبٍ يتكلم ، وانما هي في سموها واجادتها ، مظهر من خواطره ﷺ . . .

ان خرجت في الموعظة قلت : أنين من فؤاد مقروح وان راعت بالحكمة قلت : صورة بشرية من الروح في منزع (٤) يلين فينفر بالدموع (٥) ويشتد فينزو (٦) بالدماء .

---

(١) مصطفى صادق الرافعي : شاعر له ديوان في ثلاثة اجزاء وأديب كبير له كتب قيمة توفي (١٩٣٧) م

(٢) حسرت العقول : ارتدت وتخاذلت

(٣) اي تمتنع على من يحاول محاكاتها

(٤) منزع هنا : أسلوب

(٥) ينفر الدموع : يدفعها .

(٦) ينزو : يثب .

واذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض ، أراك هـــذا أنه كلام الأرض بعد السماء » .

ضعف ملكة اللغة العربية وتفشي اللحن وأثر ذلك

لما فارق العرب الحجاز لابلاغ « دعوة الاسلام » وبث تعاليمه بين الامم اقتضت مخالطتهم لمن لايحسن لغتهم ضعف ملكاتها على ألسنتهم ودخول التغيير عليها في مبانيها واساليبها وحركات اعرابها ، وابتدأ التحريف يسرى الى اللغة في عهد الخليفة الرابع « على بن ابي طالب (١) رضي الله عنـــه فأشار على « ابي الاسود الدؤلى (٢) بوضع « علم النحو » ولم يزل أئمة العربية يحوطونها باستنباط القواعـــد حتى ضربوا عليها بسياج يقيها عادية الفساد ويحول بينها وبين غوائل الضياع والاضمحلال وحين انتشرت المخالطة وتفشى داء اللحن أمسك العلماء عن الاستشهاد بكلام معاصريهم من العرب ويعدون اول المحدثين الذين لايستشهد بأقوالهم بشار بن برد (٣) المتوفي سنة (١٦٧) هـ

---

(١) على بن ابي طالب رضي الله عنه : ولد قبيل الاسلام ونشأ في بيت مجـــد وشرف ، وكان اول من اسلم من الصبيان ، صاحبَ الدولة الاسلامية في اوليتها مجاهداً وناصرها بعد وفاة الرسول ﷺ في عهد الخلفاء وبعده حـــتى بويع بالخلافة .

(٢) تقدمت ترجمته في بحث « تطور اللغة العربية » ص (٧٢)

(٣) بشار بن برد : هو ابو معاذ ، ولد اعمى ثم اصابه الجدري كان شديد الذكاء ، واسع الخيال ذا ملكة في الشعر قوية يعد من اكبر شعراء عصره .

اما العربي القح فانه يطلق العبارة بدون كلفةفي اختيار الفاظها او ترتيب وصنعها فتقع صحيحة في مبانيها مستقيمة في اعرابها ولايكاد يلحن في اعراب كلمة او يزيلها عن موضعها اذا ترك لسانه وسجيته ومن ثم كان قرض الشعر كالخطابة على الارتجال والبديهـــة شائعاً عند العرب نادراً في عصر المولدين ، ولا يعترض على هذا بأن كثيراً من العرب يطيل المدة في عمل القصيدة كما فعل « زهير بن ابي سُلمى (١) في حولياته لانه يستوفيها في امد قريب ويتمها على شرط الصحة ولكنه لا يخرجهـا للناس اذا فرغ من عملها الا بعد التروي واعادة النظر في تقويم معانيها وحسن النسق في بنائها واحكام قوافيها لا ليخلصها من اللحن ويطبق عليها اصول العربية كما هو شأن المحدثين .

---

(١) زهير بن ابي سُلمى : تقدمت ترجمته في بحث «تعريف اللغة» ص ٣٠

الشغف بالمحسنات اللفظية وأثره في إفساد ملكة اللغة العربية

نشأ بجانب التحريف الذي طرأ على اللغة العربية وفشو اللحن مرض آخر انجر اليها بسبب من اسباب حسنها هو ان « مسلم بن الوليد(١) » و «ابا تمام» (٢) امعنا النظر في أشعار الفصحاء وخطبهم وحسروا اللثام عن وجه بيانها فأبصروا فيها محاسن من فنون البديع كالاستعارة والجناس والتورية فشغفوا بها وثابروا على ايرادها في منظوماتهم توفيراً لحسنها واستزادة من التأنق فيها فكان الناس يقولون : ان اول من افسد الشعر « مسلم بن الوليد » وسمع اعرابي قصيدة «ابي تمام » التي يقول في مطلعها :

طلل الجميع أراكَ غيرَ حميدِ

فقال ان في هذه القصيدة اشياء افهمها واشياء لا افهمها فاما ان يكون قائلها أشعر من جميع الناس ، وإما أن يكون جميع الناس اشعر منه . وما تعاصى فهمها على الاعرابي الا لكونه سمع شعراً حشى بوجوه من البديع خرجت به عن الاسلوب المألوف فثقل تأليفه ، وبعد عن الافهام تناوله .

---

(١) مسلم بن الوليد : نشأ صريع الغواني في الكوفة ، عالج الشعر منذ صباه يمدح ويثري من شعره ولكنه سخي متلاف . كان من اكبر شعراء عصره وممن تكلفوا البديع حتى رمي بفساده ، يجمع بين الاسلوب القديم والجديد مع رقة واضحة مات سنة ٢٠٨ هـ

(٢) ابو تمام : هو حبيب بن اوس الطائي برع في الشعر ومدح المعتصم يمتاز بتخير اللفظ وتجويد الصياغة ، هو من اوائل من عنوا بتحري فنون البديع وبخاصة الطباق والتجنيس توفي سنة ٢٣١ هـ .

واتبع طريقهما كثير من الادباء وربما انتهى بهم الاعجاب بمحاسن البديع الى مخالفة قانون العربية وتغيير بنية الكلمة من أجلها كقول بعضهم :

انظرْ اليَّ بعينِ مولى لم يزل يولي الندى وتلافَ قبل تلافي

فكأنه زاد في مصدر تلف ألفاً ليتم له الجناس مع قوله تلاف ولا نعرف في كتب اللغة من ذكر التلاف مصدراً لتلف وإنما يوردون في مصدره التلف بدون ألف .

ولم تقف سيئة الاكثار من البديع عند حد الشعر بل تعدى وباؤها إلى النثر أيضاً فطفق كثير من الكتاب يملؤون رسائلهم بوجوه التحسين : الاستعارة والجناس والطباق ونحوها واجتهدوا ان لايفوقهم الشعراء بواحد منها حتى إذا ماتلقيت صحيفة من هذا القبيل وألقيت فيها نظرك ليطوف عليها بالمطالعة أدركته عند كل فقرة حبسة ، والتوت أمامه طرق فهمها ، وإن كانت معاني مفرداتها جلية فتحس به كيف ينتقل من كلمة الى اخرى بخطوات ضيقة كأنما حمل على قيد من حديد وأكثر هؤلاء يهملون النظر الى جانب المعنى والمحافظة على اقامته واستيفائه وهذا مابعث الشيخ « عبد القاهر الجرجاني » (١) حين قام ينادي بأبسط عبارة : إن الالفاظ خدم للمعاني ، وإن المعاني مالكة سياسة الالفاظ ، وأقام الحجة في كتابيه « دلائل الاعجاز » و« أسرار البلاغة » على أن

---

(١) « عبد القاهر الجرجاني » : لغوي من تلاميذ ابي علي الفارسي . توفي سنة (١٠٧٨ م ٤٧١ هـ) له « العوامل المئة » أو « مئة عامل » مخطوط في برلين و « اسرار البلاغة » وغيره .

مزية الفصاحـــه إنما استحقتهـا الالفاظ ووصفت بهـا من جهة معانيهـا وازال كل شبهـــة عرضت لمن اعتقـد أنهـا مزية استحقهـا اللفظ بنفسه .

وأدرك غالب المحررين اليوم أن تتبع هذه الحسنات ومواصلة العمل بها في نظم الـــكلام يبدلها سيئات تشمئز منهـا قلوب الذين يستعمون القول فيتبعون احسنه بياناً فأقلعوا عن الاكثار منهـا لا سيما في خطابات الجمهور وزهدوا فيها إلا ماسمح به الخاطر عفواً ورمته الطبيعة بدون كلفة ظاهرة (١) .

(١)دراسات في اللغة العربية وتاريخها للاستاذ « محمد الخضر حسين »

الفصل الثالث

فقه اللغة العربية

فصاحة الكلام في اللغة العربية

فصاحة مفردات اللغة العربية ومحكم وضعها

حكمة تراكيب اللغة العربية

تعدد أوجه الدلالة في اللغة العربية

تعدد أساليب اللغة العربية

طرق الاختصار في اللغة العربية

التشبيه في اللغة العربية

اتساع وضع اللغة العربية

نمو اللغة العربية

طرق الوضع في اللغة العربية

فصاحة الكلام في اللغة العربية

لايكون الكلام عربياً إلا إذا سلمت مفرداته ، وصحت دلالتها واستقام تأليفها .

أما سلامة مفرداته : ففي النطق بحروفها على مقتضى الوضع من غير أن تغير بنقصٍ ، أو زيادةٍ ، أو إبدالٍ ، أو قلبٍ ، في هيئة ترتيبها أو في حال حركتها وسكونها .

وأما صحة دلالتها : فباستعمالها على وجهٍ مقبول في لسان العرب .

وأما استقامة تأليفها : فبانطباقه على أسلوب نسج عليه العرب في مخاطباتهم ، ولاتتحقق هذه المطابقة إلا برعاية أحكام التقديم والتأخير ، والاتصال والانفصال ، والحذف والذكر .

فصاحة مفردات اللغة العربية ومحكم وضعها

تتفرع اللغة العربية بحسب اختلاف الشعوب والقبائل إلى لهجات متعددة متقاربة في أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها .
وأفصح لغات العرب لغة « قريش » وفضلت على سائر اللغات بوجهين :

---

١ ـ بعد أهلها عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ولهذا لم يحتج أهل الصناعة العربية إلا بلسانهم أو ماكان قريباً منه ، ولم يعتمدوا لغات القبائل التي تجاور غيرها من الامم كلخم وجذام وقضاعة وغسان » .

٢ ـ إن العرب كانوا يفدون عليهم في موسم الحج ويقيمون عندهم قريباً من خمسين يوماً فيتخيرون من لغات أولئك الوفود ماتعادلت حروفه وخف وقعه على الاسماع ويرفضون كل مايثقل على الذوق ولا يجد في السمع مساغاً .

ولا غرابة أن تجري الالفاظ في وصف الحسن والقبح مجرى جنسها الذي هو الصوت ، فمن الاصوات مايحدث في السمع لذة ويرتاح الخاطر بالاصغاء إليه « كنغم الاوتار وسجع البلبل » من الطير ، ومنها مايرميه الطبع ، وينقبض لسماعه « كنعيق الغراب وصرير آلة

النشر » ويمكن الحكم على اللفظ بالحسن وضده ولو من غير العارف بمعناه متى كان ذوقه صحيحاً فكل ذي ذوق سليم يفرق بين الورد (١) والوردة ويميز بين السيف والخنشليل ، ولا تتشابه عنده النفس والجرشى .

ومن أصغى جيداً إلى الالفاظ العربية الجارية على ألسنة الفصحاء وجدها لذيذة في السمع خفيفة على الارواح . حكى الشيخ « ابن الاثير » (٢) في « المثل السائر » أنه لقي رجلاً اسرائيلياً بالديار المصرية . قال : فجرى ذكر اللغة العربية وفصاحتها فقال ذلك الرجل من بني اسرائيل : كيف لاتكون كذلك ؟ فان واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر مااختصر وخفف ماخفف ، فمن ذلك اسم « الجمل » فانه عندنا في اللسان العبراني « كوميل » فجاء واضع اللغة العربية وحذف منه الثقيل وقال « جمل » فصار عذباً حسناً ، وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة .

ونقل بعض المحررين اخيراً حكاية « ابن الأثير » وقال : سمعت بعض اليهود العارفين بالعبرية أن « الجمل » يسمى « جمال » فيكون الفرق بينهما الالف بعد الميم ، وأنكر تسميته « كوميل » الا أن هذا يقرب من اسمه بالرومية .

---

(١) الورد : الاسد والفرس . (٥٥٨ - ٦٣٧)هـ

(٢) «ابن الأثير الجزري» : « نصر الله ضياء ابو الفتح » (١١٦٢ - ١٢٣٩)م توفي في بغداد ، قضى حياته هارباً متوارياً ، كثير الاعداء ، لشدة تكبره وعجبه ، اتصل بصلاح الدين الايوبي وتوزر لابنه الافضل في دمشق وهو حجة في قواعد الانشاء وله « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » .

ويشهد لبناء العربية على قاعدة «الاعتدال» أن أكثر كلماتها وضعت على ثلاثة أحرف ، وأقلوا الرباعي والخماسي لئلا يطول بهم الامد في القول بدون فائدة ، ولم يكثروا من الثنائي حذراً من أن تتجاوز منه عدة كلمات في خطاب واحد فيقع في لهجته تقطع كثير يضعف بنسيجه ويذهب بحسن تناسقه وبهاء توسله ، فان المتكلم الفصيح وإن وصل الجمل بعضها ببعض ، ولم يقف عند انتهاء كل جملة منها لايسردها سرداً بل يفصلها في منطقه ويرتلها ترتيلاً يميز به المتثبت في تلقي الخطاب الكلم الداخلة في الجملة من الكلم المنفصلة عنها وربما يتبين من هيئه نطق الفصيح نهاية الكلمات فيميز السامع الحرف الذي هو منتهى كلمة من الحرف الذي هو بداية لكلمة اخرى . والثلاثي يبتدي فيه المتكلم بحرف ويعتمد على ثانٍ ثم ينتهي بحرف آخر فيكون في آلة النطق أمكن ويساعده على أن ينحو في هيئة خطابه نحو المتانة والانسجام .

قال « الباقلاني » (١) : ولضيق ماسوى كلام العرب أو لخروجه عن الاعتدال يتكرر في بعض الالسنة الحرف الواحد في الكلمة الواحدة والكلمات المختلفة كثيراً نحو تكرر الطاء والسين في لسان الترك ولذلك لا يمكن أن ينظم من الشعر في تلك الالسنة على الاعاريض التي تمكن في اللغة العربية . ولشدة محافظتهم على الاعتدال في الكلام يسقطون شيئاً من حروفها إذا عرض لها طول في بعض تصاريفها كحذفهم لاخر الاسم الخماسي في « التصغير » نحو « سفرجل » إذا

---

(١) «الباقلاني» : ابو بكر محمد بن الطيب البصري من علماء الكلام ، مزج علم الكلام بآراء جديدة . توفي في بغداد (١٠١٣ م ٤٠٣ هـ) له « إعجاز القرآن »

أرادوا تصغيره يقولون « سفيرج » وكذلك يفعلون في جمعه فيقولون « سفارجل » ثم إنك لا تجدهم يجمعون في حشو الكلمة بين ساكنين لما ينشأ عن اجتماع الساكنين من البطء في التلفظ بها ولا يوالون في اللفظة الواحدة بين أربع أحرف متحركة خوفاً من الاستعجال الحاصل من كثرة الحركات المتوالية ويزيدك بصيرة بهذا إهمالهم الأوزان التي يتعسر النطق بها نحو « فِعُل » بكسر الفاء وضم العين رفضوه من أن يبنوا عليه شيئاً من كلمهم للثقل الذي يوجبه الانتقال من الكسر الى الضم .

وقرر الباحثون عن اسرار اللغة : أن الالفاظ تختلف بطبائعها وهيئاتها مثل اختلافها بالصلابة والرخاوة والفك والادغام والحركة والسكون ، ولم يصرف واضع العربية نظره عن هذه الوجوه ولاحظ في كثير من الالفاظ المناسبة بينها وبين مايدخل في قياسها ، وإن شئت مثالاً يضرب على شاكلة ماقرروه فانظر إلى علامة النسب تجدها ياء شددت للمبالغة في وصف الانتساب وتلويحاً إلى شدة رابطة المنسوب بالمنسوب اليه فاذا استعملت في نسبة الشخص إلى عشيرته مثلاً كان تشديدها كالمهاز لتحريك غيرته عليهم أو تنبيه عواطفهم للاقبال عليه .

حكمة تراكيب اللغة العربية

من يرجع الى حال نفسه عند إلقاء العبارة يشعر بأنه لايحرك بها لسانه إلا بعد ان يتصور معانيها المفردة ويضم بعضها الى بعض بروابط النسب الاسنادية أو التقييدية في ذهنه فيأخذ كل معنى من جهة التقديم والتأخير رتبة في النفس يستحقها بطبعه كالفاعل يخطر في البال قبل المفعول والموصوف يجري على المخيلة قبل صفته .

وقد يعرض لبعض المعاني حال ينقله عن مرتبته الطبيعية ويعطيه في نفس المتكلم منزلة ثانية كالاهتمام بالمفعول به يقتضي تقديمه على الفعل . وإذا تبين هذا فما يرجع اليه في وصف العبارة بحسن البيان أن تكون الفاظها مؤلفة على حسب ترتيب معانيها في النفس سواء كان ذلك الترتيب مما دعت اليه طبيعتها او اقتضته الاحوال العارضة ومن افتكر في تأليف الكلام العربي بالنظر إلى تقديم اجزائه وتأخيرها وجد معتمداً على رعاية هذه القاعدة .

وتراتيب الكلم على ثلاثة اضرب :

١ ـ ماعينه الواضع وحكم به على سبيل الوجوب فيعد مخالفه مخطئاً ويخرج الكلام الخالي من مراعاته عن الاسلوب العربي كتأخير التمييز عن

المبنى والمضاف اليه عن المضاف .

٢ ـ ماعينه الواضع أيضاً ولكنه قضي به على وجه الاصالة واعتبار ماهو الاولى ، ولا تخرج العبارة بمخالفته عن حدود العربية كتقديم اسم من صدر منه الفعل على اسم الذات الواقع عليها . والبحث عن أسرار ماكان من قبيل هذين الضربين مبثوث في مدارج « علم النحو »

٣ ـ مالا يقتضيه الوضع على التعيين وجعل أمره دائراً على رعاية ماينا سب المقام ، وتعيينه بحسب التراكيب المخصوصة موكول إلى ألمعية المتكلم وحسن تصرفه كتقديم المفعول على الفعل لافادة اختصاصه به ، وعدم تعلقه بغيره ، والبحث في هذا القسم ووجوهه المناسبة مندرج في موضوع « علم البيان » .

وكان من حق الألفاظ والجمل التي تناسب معانيها وتعلق بعضها ببعض أن يلائم بينها في السبك ، ولا يفرق بينها في التأليف . هذا هو الأصل الذي بنيت عليه العربية إلا انهم لم يغلوا في ذلك لئلا يوقعوا ألسنتهم في حرج فأباحوا الفصل في مواضع لا يؤثر فيها الفصل تعقيداً ، ولا يختل به فهم المعنى وعملوا به في موارد الجمل الاعتراضية على وجه الزينة وشبهوا مابلغ الغاية في الحسن والقبول بحشو اللوزينج .

ثم نظر العرب الى الجمل تستقل كل واحدة منها بنفسها فوجدوها تارة تتناسب ويتشبث بعضها ببعض من جهة المعنى فليس من الحكمة وجودة التصرف أن تلقى منثورة لايراعى فيها جانب المعنى وتستأنف واحدة بعد أخرى فأعملوا حروف العطف وسائط في وصل الجمل ونظمها في سمط

المناسبة لتكون اجزاء الكلام متماسكة .

وتارة تنقطع الجملة الثانية عن الجملة قبلها ولا يتصل حديثها بحديثها سوى أنه اتفق الجمع بينها في الاخبار ، وفي هذا الموضوع يجب الفصل بين الجملتين ، فلو ضم المتكلم الجملة الاخيرة إلى الجملة السابقة بعاطف كان بمنزلة من عمد الى جواهر غير متناسبة في المقدار ولا يشبه بعضها بعضاً في الشكل وركبها في نظام واحد .

ودعاهم اللطف ورعاية الادب في الخطاب إلى الاغضاء عن شرط المناسبة فأدمجوا حرف العطف بين جملتين ليس بينها صلة مناسبة إذا كرهوا أن يسبق الى ظن السامع خلاف مايراد منها لولا واسطة حرف العطف كقولهم « لا وأيدك الله » .

فوضع الفصل والوصل بين الجمل على هذا الوجه ، وبناء حكمها على اعتبار المناسبة وما يقتضيه أدب الخطاب مما يوضع في ميزان العربية ويعد من دلائل الحكمة في وضع اساليبها ويظهر مما ذكر « الجاحظ » (١) في كتاب « البيان والتبيين » (٢) : أن « الفارسي » سئل فقيل له : ماالبلاغة ؟ فقال : « معرفة الفصل والوصل » أن اللغة الفارسية تعلقاً بهذا الباب .

---

(١) «الجاحظ» : «أبو عثمان عمرو بن محبوب الكناني» ولد بالبصرة سنة (١٥٩ هـ) انصرف الى مجالسة علماء البصرة ونبه شأنه في زمن المأمون . اتصل بوزير المعتصم محمد الزيات وقدم له كتاب «الحيوان» ولما فتك المتوكل بابن الزيات هرب الجاحظ لكن القاضي احمد ابن ابي دؤاد عفا عنه لعلمه وأدبه فتصدر مجلسه .

بقية الحاشية

واتصل بالفتح ابن خاقان وزير المتوكل . مات بالبصرة سنة (٢٥٥) وعمر طويلاً . كان خفيف الروح ، طيب النكتة حسن الحديث كثير التهكم بالناس ، شديد الذكاء ، عميق الثقافة ، لغوياً ، كاتباً اديباً رجل دين وعلم وفلسفة وبحاثـــة وراوية للأخبار والاشعار . وكان رأس فرقة من المعتزلة تسمى (الجاحظة) وأحد علماء الكلام المعدودين ورأس الـــكتاب البلغاء في عصره ، من آثاره « الحيوان » « والبيان والتبيين » و « البخلاء » ورسائل عدة .

(٢) «البيان والتبيين» : كتاب ألفه « الجاحظ » وقدمه لابن ابي دؤاد فمنحه عليه خمسة آلاف دينار . وللثقافة العربية المظهر الاكبر فيه .

تعدد أوجه الدلالة في اللغة العربية

من المقرر أن الألفاظ لم توضع لافادة معانيها في أنفسها ضرورة أن المخاطب يتصورها ويعرفها من حين عـــلمه بالوضع ؛ وانما وضعت لافادة النسب والربط بين موضوعاتها على وجه الثبوت او السلب فلا دلالة للالفاظ على شيء قبل تركيبها وارتباطها بهيئتها الصحيحة .

والألفاظ العربية إذا ركبت دلالتان :

١ ـ تصور مفردات على وجه النسبة بينها وإسناد بعضها الى بعض كدلالة قولك :« أكرمت زيداً العالم إجلالاً » على معنى صدور الاكرام منك وتعلقه بزيد الموصوف بالعلم لعلة باعثة على إكرامـه هي الاجلال ، والدلالة على هذه المعاني تشترك فيها جميع الألسنة وهي الداعي الاول الى وضع اللغات ويمكن بالنسبة إليها نقل الكلام العربي الى لغة أخرى مـــع الاحاطة بجميـع مايراد منه مالم يكن صالحاً لعدة معانٍ لم يتحقق المراد في واحدٍ منها كما يفعله البليغ بقصد الاجمال على السامع لغرض يستدعيه المقام .

٢ ـ الدلالة على معانٍ زائدة على المعاني الأصلية من أحوال ترجـع الى المتكلم او المخاطب أوالمتحدث في شأنه أوحال الفعل المخبر به وغير ذلك

كدلالة « الحذف » لشيء من أجزاء الكلام على ضجر المتكلم وسآمته ودلالة « تأكيد الجملة بالقسم » على أن المخاطب ينكر مضمونها ومن هذا : ايراد « المسند اليه نكرة » للدلالة على تعظيمه « وتقديم الفعل على المفعول » مثلاً لاهتمام المخبر بشأنه .

وهذه المعاني الزوائد تعتبر في صورة الكلام بمنزلة الروح تسري في الجسد فتحدث فيه منظراً بهيجاً وعلى حسب رعايتها تتفاضل العبارات في مقام البلاغة .

قال « الباقلاني » (١) : «إن كثيراً من المسلمين قد عرفوا تلك الالسنة وهم من أهل البراعة فيها. وفي العربية وقفوا على أنه ليس يقع فيها من التفاضل والفصاحة مايقع في العربية ».

ومن قصد الى ترجمة كلام عربي ونقله الى لغة أخرى لا يمكنه تأدية ما اشتمل عليه من المعاني الثواني والافصاح بها اثناء حكايته لمعانيه الاصلية ، ومع هذا لم يمنع أهل الاسلام ترجمة القرآن وأجمعوا على جواز ترجمته لافادة ماظهر من معانيه الاصلية لمن لا قدرة له على فهم العربية ، نقل الاجماع على ذلك « أبو إسحاق الشاطبي » (٢) في « موافقاته » فما يقال : من أن ترجمة بعض السور القرآنية إلى لغة أخرى ممنوع عند

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١٢٠

(٢) « أبو إسحاق الشاطبي » : ابراهيم . يقال له الغرناطي . عالم بالأصول والتفسير والحديث والفقه له كتاب « الموافقات » وله « الاعتصام » في تعريف البدع وذمها واحكامها توفي (١٣٨٨ م ٧٩٠ هـ)

المسلمين غير مطابق للحقيقة ، بل أجاز بعض الائمة ترجمته الى الفارسية والقراءة بها عند العجز عن العربية ولو في حال الصلاة .

ومن الآيات مايحتمل باعتبار معانيه الاصلية عدة وجوه ولا يمكن نقله الى لغة أخرى بحاله ، فاذا اعتمد المترجم على احد الوجوه لم تكن الترجمة قرآناً بالمعنى إذ يحتمل أن لا يكون مطابقاً للمراد من « كلام الله » ، ومثل هذا لا ينبغي ان ينقل الا على وجه التفسير والبيان كأن يذكر المترجم الآية بلفظها العربي ويأخذ بعد ذلك في بيانها باللسان الآخر .

وصرح « الامام الغزالي » (١) في كتاب « إلجام العوام » بحرمة ترجمة الآيات المتشابهات واستدل على ذلك بأن من الالفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية تطابقها ؛ ولكن ماجرت عادة الفرس باستعاراتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعاراتها منها ، ومنها مايكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك ومثل الفارسية غيرها من لغات الاعاجم .

---

(١) «الغزالي»: ابو حامد محمد (١٠٥٩ - ١١١١ م ٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) ويقولون احياناً الغزّالي ، ولد في طوس (خراسان) مفكر جذاب وشخصية غنية ، من عظام فلاسفة الاسلام ، تعلم في نيسابور ، اقام في بلاط الملك السلجوقي ، علم في نظامية بغداد . سافر الى الشام وفلسطين ومصر والحجاز وأقام في دمشق منصرفاً الى الحياة الصوفية له « المنقذ من الضلال » و « تهافت الفلاسفة » و « احياء علوم الدين » و « إلجام العوام » وغيرها .

تعدد أساليب اللغة العربية

مما يشهد بارتقاء اللغة وسعة غايتها في البيان تعدد أساليبها وكثرة طرق إفادتها ؛ فان العبارات إذا اختلفت في أساليبها تغاير ما تصوره في نفوس المخاطبين من المعاني وإن كان الغرض واحداً . فصورة المعنى الذي يستفاد بطريق المجاز أو الكناية يغاير الصورة التي تؤدي بلفظ الحقيقة أو القول الصريح ، بل الصورة التي يرسمها قولك : « زيد كريم الطبع » غير الصورة التي ينقشها قولك : « زيد ذو طبع كريم » وإن اتحد أصل المراد من المثالين وهو إثبات الكرم لطبع زيد . ولولا أن العبارات الواردة على غرضٍ واحدٍ مختلفة في صور معانيها لم يظهر التفاوت والتسابق بينها في حلبة البيان .

وإذا قويت عارضة المتكلم في العربية أمكنه أن يتصرف في الغرض الواحد ويفرغه في أساليب مختلفة كأن يلقيه في صورة تكلم أو خطاب أو غيبة يطابق به الحقيقة ، أو يسلك به خلاف الظاهر على وجه الالتفات أو التجريد ، أو يدخل بعض كلمات في نظم الجملة ليتقوى به نسجها ، أو يقيد قيداً تتوفر فيه جزالة معناها ؛ وتارة يأتي بالألفاظ مساوية للمعنى المراد ويفصلها على مقدار الحاجة ، وربما كان إسقاطه لبعض الجملة أوقع في النفس وأبعد عن اللغو فيحذفه وينبه على مكانه ، ويعبر بلفظ مفرد إن شاء أو مركب نحو « سبقه ووصل قبله » والمفرد إما مجرد من حرف الجر أو مفصول به نحو « أخرجته وخرجت به »

أو يأتي بالمراد في سياق النفي أو الايجاب نحو « لم يشح بالتعليم وسمحت نفسه به » أو يعبر عن الشيء وصفته بمركب إضافي أو يركبها على قياس النعت مع منعوته نحو « يعجبني كبر همتك » أو « همتك الكبرى » ثم إن الحاذق في عمل التمثيل هو الذي يمثل لك الحزين المتضاحك والمستبشر المتباكي . كذلك الفصيح يبرز لك الجد في صورة الهزل أو يكسو الهزل بلباس من الجد ، ويلقى المدح في قالب الذم ، ويسوق الذم في معرض المديح كقولهم : « أرانيه الله أغر محجلاً » أي محلوق الرأس مقيداً ، وقد ينحو نحو البراعة في الصناعة وإظهار القدرة على التأنق في تأليف الكلام فيشحنه بضروب الاستعارات وفنون التشابيه وغيرها من محاسن البيان التي لا يعقلها إلا الخاصة من الأدباء كما فعل « الحريري » (١) في « مقاماته » (٢) أو يتخير ماكانت ألفاظه صريحة ومعانيه واضحة يسهل مأخذها على من له إلمام باللغة وذهن حاضر في الجملة إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف وطرق التعبير البالغة إلى غاية يقف دونها البيان .

ومن تنوع الأساليب إلى مايفوق حد الوصف أخذ كل شاعر وكاتب طريقة يعرف بها نظمه أو تحريره حتى إذا تليت قصيدة لشاعر أو رساله لكاتب لا تعلم نسبتها إليه وكنت عارفاً بطريقته لم يشتبه عليك أنها من إنشائه . يؤيد هذا أن « خلفاً الأحمر » (٣) كان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فيشبه كل شعر يقوله شعرَ من

---

(١) « الحريري » هو ابو محمد القاسم بن علي الحريري البصري إمام في اللغة والأدب والنحو والانشاء توفي سنة ٥١٦ هـ .

(٢) « المقامات » : أشهر آثار الحريري وهي تشتمل على كثير من غريب كلام العرب وأمثالها وهي تدل على فضله وسعة اطلاعه ودقة ذوقه .

يصطنعه عليه ويقال : إن القصيدة المنسوبة إلى « الشنفرى » (٤) التي أولها :

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فاني إلى قومٍ سواكم لأَميلُ

هي له . وقال : أنا وضعت القصيدة التي أولها :

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ وأخرى تعلك اللُجُما

ونسبتها إلى « النابغة » .وروى أن « الفرزدق » (٥) انتحل بيتاً من شعر « جرير » (٦) وقال : هذا يشبه شعري .

وإذا نبغ كاتب « كالجاحظ » أو شاعر « كالمعري » (٧) ، وابتدع لنفسه أسلوباً راق في نظر أبناء عصره أخذوا في محاكاته واقتدوا بالعمل على منواله فتماثل تحريراتهم ويتقرر لهم أسلوب جديد .

---

(٣) خلف الأحمر : ابو محرز من شعراء القرن التاسع الميلادي ببغداد أصله من فرغانة (العجم) لكنه قبض على ناصية العربية ونظم الشعر عفواً ، إليه تنتسب لامية العرب ، روى عن الأصمعي القصائد القديمة .

(٤) « الشنفرى » : هو ثابت بن أوس الأزدي من شعراء الجاهلية الصعاليك يمني الأصل .

(٥) « الفرزدق » : هو أبو فراس همام بن غالب اليمني الدارمي ، أحد فحول الشعراء الأمويين ، نشأ بالبصرة والبادية حتى نبغ بالشعر ومدح ولاة العراق وخلفاء الشام مات سنة ١١٠ هـ .

(٦) « جرير » : ينتسب أبو حرزة جرير بن عطية إلى يربوع من تميم ولد باليمامة ونشأ في البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ .

وما نقل من أن أساليب اللغة واقنة عند غاية لا تتجدد غير صواب، فان من ينظر في أساليب التحريرات الراقية اليوم يجد بينها وبين أساليب المتقدمين بوناً شاسعاً ولو جئت إلى رجلٍ تدرب على مطالعة هذه المحررات الحديثة وأمليت عليه صحيفة من نسجها وهو لا يعرف من أين صدرت ولا متى نشأت عقل على البديهة جدتها ولم يَرْتَبْ في أنها من قبيـــل الصنع الذي ظهر به هؤلاء الكاتبون ، كما لا يشك في معرفة مايتلى من زُبُر الأولين ويدرك لأول نظرة إنشاءها على الطراز القديم .

والناقد لأصناف الكلام يفرق بين الانشاء الحادث والقديم ، وإن كانت المعاني فيها متماثلة ، فلا يكن في ظنك أن الطريق المعرف للمنشآت الجديدة هو ماتتضمنه من الأسماء المستحدثة والأفكار التي لم يعتن القدماء ببثها والأساليب الخاصة بفرد أو بأهل عصر ممـا يرجـــع في تمييزه إلى الذوق؛ وليس في طوق أحد أن يضبط لك أسلوباً ابتدعه كاتب أو شاعر بقواعد يدونها حتى يمكنك إذا عرفتها أن تجري في تأليفك على نمطه بدون أن تتردد على محرراته بالنظر الجيد وتدع في حفظك شـذوراً منهـا ، بل صاحب الأسلوب نفسه ليس في طاقته أن يتصور المعنى مجملاً أو مفصلاً ثم يطلق عليه العبارة بمقدار ماتصوره به من الاجمـــال أو التفصيل ، فاذا وجد أحد في التعبير حرجاً وعدم التئام مع ذوق شعر حينئذ بأنه ذهب بغير منهجه المألوف ، ولا يسعه إلا التصرف في القول بنحو تبديل الترتيب حتى يرده إلى الأسلوب .

---

(٧) « المعري » : أبو العلاء احمـــد بن عبدالله التنوخي المعري الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . مات سنة ٤٤٩ هـ بعد أن ترك شعراً كثيراً ، ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة .

طرق الاختصار في اللغة العربية

من البـــين أن الألفاظ وضعت لتنقل المعاني القائمة بالذهن إلى أفهام السامعين ، لا زينة في المنطق وحلية للألسنة كيف حضرت . وهذا مادعا الواضع أولاً إلى التقدير في وضعها واعتباره بمقدار الحاجة إلى الأفهام فاذا اتفق في اللفظ القصير كفاية وغنى عن الدلالة على المراد آثره في الوضع على ماهو أبسط منه حتى لا تسمع في حديث مخاطبك الحكيم لاغية .

ثم إن عقول المخاطبين تتفاوت في الاستفادة من العبارات بالنظر إلى سرعتها في الانتقال إلى المعاني وبطئها ، ومن جهـــة قرب غايتها في الفهم وبعدها ، ورب خطاب يلقى إلى الغبي فيراه أبتر عن الفائدة لا يشفي غليل المنتظر لتحصيلها ، ويوجه إلى الألمعي فيسأم لبعض كلمات أو جمل تغنيه قوة الكلام وقرينة السياق عن ذكرها الصريح .

فاقتضى تمايز المخاطبـــين بالفطنة والغباوة أن لا يستمر البليغ في سائر عباراته على نسقٍ واحـدٍ وبيانٍ لا يختلف ؛ وسبيله أن يلاحظ حال المخاطب أولاً ثم يزن العبارة بحسبها . ولم يغب هذا المعنى عن العرب فراعوا جانبه ، وأضافوا إليه في الاعتبار أن الانسان قد تدعوه الحاجة إلى الحديث في شأن ويضيق به الوقت عن التوسع في البيان ، أو يجدفي نفسه ضجراً يثقل الكلام على لسانه فوضعوا في الأساس الذي بنيت عليه

لفتهم قاعدة « الاختصار » ويجري في كلامهم على وجوهٍ يرجع الفضل في بعضها إلى حكمة الواضع ، ومنها ماتعود المزية فيه إلى اقتدار المتكلم ولطف تصرفه . روعيت هذه القاعدة في كثير من المفردات حال وضعها كما وضعوا « الضمائر » لتنوب عن الأسماء الظاهرة ، وأقاموا علامة « التثنية والجمع » بأنواعه مقام العاطف والمعطوف ، واستغنوا بتغيير الكلمة في « التصغير » عن وصف المسمى بالصغر بعد ذكر اسمه ، واعتبروا في وضع « أدوات الشرط » زيادة على التعليق والدلالة على جنس المعلق عليه من عاقلٍ وغيره أو مكان أو زمان أو حال فاكتفوا بنفس الأداة عن التصريح به من بعد ، وكذلك صنعوا في « أدوات الاستفهام » حين أدخلوا في مفهوماتها فضلاً عن طلب الاعلام الدلالة على جنس المسؤول عنه ؛ فاذا علمت بأن أحداً عند المخاطب وقصدت إلى استكشاف حاله لتعرفه بعينه فهنا لا تفيدك الهمزة في طلب تعيينه مثلما تفيدك كلمة « مَنْ » إذ يلزمك مع الهمزة أن تعد الناس فرداً فرداً حتى تذكر الشخص المسؤول عنه ، وربما لا يخطر على قلبك أو كنت لا تعلم اسمه من قبل فتستمر في تجديد السؤال : أزيد عندك أو عمرو أو خالد ؟ وهو يجيبك بالنفي إلى أن ينفذ ماعندك من الأسماء ولا يحصل لك التطابق وليس على المخاطب أن يقول لك : عندي بكر مثلاً في جواب : أعندك زيد ؟ وسبيله أن يجيبك بكلمة لا أو نعم ، وكذلك القول في بقية ما يسأل عنه في مكانٍ أو زمانٍ أو حالٍ أو عددٍ .

ومن هذا النوع « ضمير الفصل » و « أدوات الاستثناء » و« كلمة » « إنما » فانك تجد في ضمن استعمالها جملة ثانية تخالف الجملة المنطوق بها في الايجاب أو السلب ، وتقرب منها « حروف العطف » لاغنائها عن إعادة العامل ودلالتها فوق ذلك على معانٍ أخرى كمعنى الترتيب والتعقيب

المستفاد من « الفاء » والترتيب والتراخي المستفاد من « ثم » .

وقد خالفوا بين أواخر الكلم في هيئاتها وأجروها على نظام محدود فكانت أوقع في النفس وأدعى للاعجاب لما فطرت عليه النفوس المتنورة من استعظام مايكون مرتباً على أنظمة مطردة ولو لم يجروها على قانون ، ورموا بها كيف اتفق لقل العجب بها وفقدت من مآثر الفصاحة وجهاً بديعاً ثم استشعروا حاجتهم إلى التفرقة بين معانٍ ينبنى على تمايزها فهم المراد من الجملة كتمييز « الفاعل والمفعول والمضاف إليه والمسند والمسند إليه » وفي طوقهم أن يصنعوا للدلالة على ذلك علامات غير أحوال الكلم ، ولكن جنحوا إلى طريقة الاختصار واكتفوا بها في التمييز بين تلك المعاني ، واعتمدوا في بعض الاحيان على دلالة التقديم والتأخير وقرائن الأحوال . وزعم « ابن خلدون » (١) : أن الاعراب لا يوجد إلا في لغة العرب ؛ قال : وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة » .

وقد ثبت أن حكم الاعراب مما يوجد له أثر في اللغتين : اليونانية والألمانية وإن كانت العبرة به في لسان العرب أزيد وعنايتهم به أقوى .

---

(١) « ابن خلدون » عبد الرحمن ولد في تونس ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م مؤرخ وفيلسوف وسياسي ، رحل إلى مصر ودرس في الأزهر وتولى قضاء المالكية حتى وفاته ، ألف في فلسفة الاجتماع والتاريخ كتابه « العبر » المشهور « بمقدمة ابن خلدون » طبعت مراراً . نقلها إلى الافرنسية (دى سلان) سنة ١٨٦٠ وكتب عنها : إنها خزانة علوم اجتماعية وسياسية واقتصادية وأدبية .

ثم إن العبارة المطابقة للمعنى المراد من نسبة أمرٍ لآخر تقتضي بطبيعتها أن تؤلف من ثلاثة ألفاظ في الأقل واحد للمحكوم عليه وآخر « للمحكوم به » ولفظ ثالث لافاد[illegible] بالآخر طبق ماهو المنقول عن اللغة الفارسية واللغة اليونانيه ، فالدال على النسبة عند الفرس لفـــظ « است » والموضوع لها في لغـة اليونان لفظ « استين » ولكن العرب اختصروا في تأدية ذلك المعنى على لفظين فقالوا : « زيد عالم » واستغنوا عن الرابطة بهيئة وضع التراكيب وما يجري في أواخر الكلم من علامات الاعراب . ومن اللغات الراقية مالا يتصرف مثل اللغة التركية ، وبدخول التصريف في العربية تيسر في اللفظة الواحدة أن تدل على معانٍ مثل قولنا : « تحاربوا » يدل بواسطة صيغته الخـاصة على وقوع الحرب بين جماعة ، وطبيعة المعنى تقتضي أن لا يعبر عنه بأقل من أربع كلمات .

وينحت العرب من كلمتين فأكثر كلمة واحدة نحو « سمعـل » اذا قال : سلام عليكم « ودمعز » إذا قال : « أدام الله عزك » وقال « ياقوت »(١) في « معجم الأدباء » : « إن الشيخ أبا الفتح عـــثمان بن عيسى الملطي » سأل « الظهير الفارسي » عما وقع في ألفاظ العرب على مثال « شقحطب » فقال : يسمى في كلام العرب « المنحوت » ومعناه : أن الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما واحـــدة ، « فشقحطب »

---

(١) « ياقوت » : الرومي الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ ١١٧٩ - ١٢٢٩ م) أسر صغيراً . جال ياقوت في مدن إيران والعراق والشام ومصر وراجع المكاتب وجمع أشياء لولاه لضاعت علينا . من مؤلفاته « معجم الأدباء » من نحاة ولغويين وقراء وعلماء الأخبار و « معجم البلدان » في معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان .

منحوت من « شق حطب » فسأله « الملطي » أن يثبت له ماوقع من هذا القبيل ليعول في معرفته عليه فأمـــلاها عليه في نحو عشرين ورقـــة من حفظه » .

ولم يقف الناس في زمن ظهور الاسلام على ماسمع منه عن العرب فقالوا في « النسبة » إلى « الشافعي وأبي حنيفة » « شفعتي » . ولا نعد النحت من خصائص العربية بل هو معروف في اللغات الافرنجية اتخذوه منبعاً يستمدون منه أسماء مايحدث من المعاني على ممر الزمان فان « جغرافيا » مثلاً مأخوذة من (جيـة) بمعنى : أرض و (اغرافو) بمعنى : ارسم ، و « تلسكوب » (المنظار الفلكي) من (تيل) أي : بعيد و (سكوبيو) أي : اختبر . « وجيولوجيا » من (جيو) بمعنى : أرض و (لوغوس) بمعنى : علم . و « تلغراف » مشتق من (تيل) أي : بعيد و (اغرافو) أي : اكتب . و « تليفون » من (تيل) اي : بعيد و (فـون) أي : صوت . و « تراموای » كلمة انكليزية من (ترام) بمعنى : قضيب منبعج و (ويه) بمعنى : طريق الى غير ذلك من الأسماء المستحدثة .

وشرع العرب سنة « الحذف » فيضمرون الكلمة والجملة فما فوقها وينبهون على المحذوف بقرينة المقال أو المقام ، وحال الحـذف من مقدار اللفظ الذي يستحقه المعنى كابانة بعض أجزاءٍ من خلقة الانسان ؛ والنقص في الخلقة منه مايكون مكروهاً كقطع يدٍ أو لسانٍ ومنه مايستحب دائماً ولا يحسن في النظر سواه كتقليم الظفر وتقصـير بعض الشعر ، وقد يتقارب النقص والبقاء على أصل الفطرة فيختلف الناس في ترجيح أحدهما واختياره بحسب الأشخاص والأذواق كشجة تعرض في الوجـه فتزيده حسناً ، وبعض أنواع اللثغ يلذ في سماع أناس ويؤثرونه على الحرف

المتمكن في مخرجه .

وكذلك « الحذف » يجري على هذا التقسيم ، منه معيب وهو مااختل بـــه أداء المعنى المراد وفسدت بـه هيئة الكلام ، ومنه مايدخل في سبيل الواجب ويعد الذكر مكانه خروجاً عن قانون العربية كحذف « الفعل » في باب « التحذير » التزموه عند تكرار المحذر منه أو العطف عليه لأن التحذير إنما يقع حيث أشرف المخاطب على مهواة خطر أو خيف عليه من الحصول في مكروه ، وهذا يوجب على المتكلم المبادرة لاستيفاء الكلام والاختصار على قـــدر مايفهم المراد حذراً من طول الكلام على المخاطب حتى يغشاه المخوف منه قبل أن يأخذ في سبب النجاة .

وكذلك أوجبوه على أنفسهم عند حث المخاطب وإغرائه على طلب أمر محبوب فان شدة الحرص على فوزه بمرغوب فيه وسباقه إليه تستدعي اختصار القول له ما أمكن لئلا تفوته الفرصة قبل انقضائه .

ومن الحذف مايدخل في حكم الجائز بحسب أصل الوضع ويفوض في ترجيحه واختياره عن الذكر إلى نظر البليـــغ وما يقتضيه مقـام تلك العبارة بخصوصها كالحذف مع القرائن الخفية لاختيار نباهة المخاطب والعلم بمقدار شعوره .

ونسمـــع من كثير أن العربية لاتصلح في تعليم الجند وأمرهم بالانتظام والاستعداد والهجوم وأعمال السلاح بدعوى : أن عباراتها الكافية للافهام في هذا الغرض لا تبلغ غاية الاختصار المطلوب في مواقع الحروب وهذه غفلة منهم عن وجه الحذف الذي أوجبته العربية في مثل هـــذه المقامات، وعدم دراية بأن الكلم المستعملة لتنظيم حال الجيش عنـــد الأمم

الأخرى إنما دخل عليها الاختصار في باب الحذف والاضمار .

وسلك العرب في طلب « الايجاز » جهة أخرى سوى طريقة « الحذف » هي أن يطلقوا العبارة فتشتمل بمفهومها على معانٍ جمة ولا تستطيع أن تضع يدك في حشوها أو على موضع من جوانبها وتشير إلى كلمة أو جملة سقطت هناك ، ولكنك لو أخذت المعنى من حواشيه وأفرغته في ألفاظ تفصلها من عندك وتقدرها بالقياس على أفهام الأوساط أو العامة الذين لا يعقلون إلا الصريح من القول لا تسع مجالها وكبرت عن طوق العبارة الأولى .

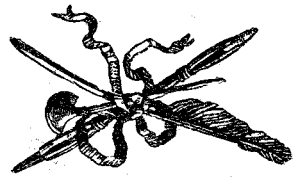

التشبيه في اللغة العربية

إن الباعث على التشبيه أمر فطري وهو قصور العبارة عن إيضاح المراد ؛ لهذا لم يختص في أصل استعماله بالبلغاء من الناس وتناوله الأطفال في حجور أمهاتهم ، وأيضاً لم تتميز به لغة دون أخرى ، بل فازت اللغات السافلة منه بنصيب ؛ فإن بعض سكان « أوستراليا » لا يوجد عندهم مايؤدي إلى معنى مستدير فيقولون : « مثل القمر » وجرى العرب في هذا المضمار إلى الغاية القصوى ، ورموا في تشابيههم إلى أغراض أخرى وراء البيان والايضاح منها : القصد إلى مدح المشبه وتزيينه في عين السامع لتنبسط نفسه إليه وتتقوى رغبتها فيه حيث حوكي بصورة راقية في حقيقتها أو حسنة في وضعها ومما ينبيء عليه التشبيه ، الاهتمام بشأن المشبه به » لأن صانع التشبيه يلتفت أولاً إلى مااستودعه في مخيلته من الصور فتخطر على مفكرته وتتسابق إليها على حسب تكررها على ذهنه وتوجه قلبه إليها، فاذا ضرب مثلاً عند الاستغناء عنه أو اختاره دون غيره مع مساواته له في تحصيل الغرض أشعر بكثرة ملابساته له وتردده على فكره، فلا غرو أن تستفيد من تشابيه الرجل مكان همته وإلى أين تذهب نفسه في معالي الأمور أوسافلها ومن الخطأ الذى يعرض للأديب هنا أن يجري في تشابيهه على مايلابس خاطره ويسبق إلى قريحته ، ولا يراعى في ضرب المثل حال المخاطبين وما هو معروف لديهم .

ثم إنهم لم يقتصروا في المشبه به على حد ماتقع عليه الحاسة أو

تدركه القوة العاقلة من الحقائق الثابتة وتعدوا إلى ماتقدره قوة الخيال من المعاني التي لم يتحقق لها أثر في الوجود .

ورأوا الفضل في التشبيه البسيط غير كبير إذ لا مزية تظهر للشاعر في تشبيه الشجاع بالأسد ، والعزيمة بالسيف فترقوا في ذلك إلى انتزاع الهيئات المفصلة من المركبات في الواقع أو بواسطة الخيال كتشبيههم الزرع تتخلله شقائق النعمان وهو يميس أمام الرياح بكتيبة لباسها أخضر قد انهزمت ومن بينها جرحى كسيت بأثواب من الدماء .

ولولا قوة مداركهم ولطف تصرفها مارأيت فئة كثيرة من الشعراء يتواردون على تشبيه سخاء واحد فيسلك كل فرد منهم طريقة لم يتعلق بها نظر غيره ، كما بلغوا فى تشبيه الهلال إلى مايقارب السبعين وجهاً ، منها قول « شرف الدين بن الريان » :

كأنَّ الهلالَ نزيلَ السماءِ ... وقد قارنَ الزهرةَ النيرَّة

سوارٌ لحسناءَ من عسجدٍ ... على قفلهِ وضعت جوهرة

ومنها قول « بدر الدين محمد بن مكى » :

كأنَّ الشمسَ إذ غربت غريقٌ ... هوى في البحر أو وافى مغاصا

فأتبعها الهلالُ لدى غروب ... بزورقهِ يريدُ لها خلاصا

فيمكنك أن تنظر إلى تشابيه بلغاء الأمة وما يضربونه من الأمثال وتجعلها عنواناً على إضاءة عقولهم وشاهداً بالغاية التي تنفذ إليها بصائرهم ، فان المشبه به إذا كان نادر الحصول في الذهن أو في ضمنه تفصيل

كثير صعبَ استطراده في غير موضع الحديث عنه ، ولا يتمكن من قلادة التمثيل به إلا من كان له نظر واسع في تخييل المعاني القاصية وقوة فائقة فى تأليفها مع ما يجانسها في شمل واحد .

وكثيراً مايضع الأدباء التشابيه على بساط المساجلة لمجرد الرياضة ، وإظهار البراعة في الالتفات من معنى الى آخر وإدخاله فى نسق الحديث عن غيره بمناسبة لطيفة .

فالأدباء يختلفون فى مراتب التشبيه ويتفاوتون في الغوص على لطائفه مثلما يختلف المصورون من أهل السياسة في تمثيل حال أمة في سعادتها أو شقائها مثلاً ، أو حال دولة في اتحادها مع دولة أخرى ، أو معارضتها ويتفاوتون فيما يضمنونه في ذلك التمثيل من النكت السياسية .

ولم تكفهم الاصابة فى وجه الشبه والتحقيق فيه فدعاهم لطف الذوق في التمثيل إلى التحفظ في موارده عما لا يلائم الغرض منه ألا ترى « الأصمعى » (١) كيف عاب في مجلس « الرشيد » قول « النابغة » :

نظرتْ إليكَ بحاجةٍ لم تقضها نظرَ السقيمِ إلى وجوهِ العوّدِ

---

(١) الأصمعي : عبد الملك (١٢٢ - ٢١٦ هـ ٧٤٠ - ٨٢٨ م) ولد في البصرة ، من مشاهير لغويي العرب حفظ لغة البدو ولهجاتها . معلم الامين ابن الرشيد . من مؤلفاته « الفرق » و « الأراجيز » و « الميسر » ومجموعة « الأصمعيات » ، ولولاه لكنا فقدنا الكثير من دواوين العرب وأشعارهم . كان تقياً ورعاً عمرَ إلى مافوق التسعين .

فان « النابغة » وإن سدد الرمية إلى وجه الشبه لكنه أورده في صورة تقتضي تشبيه المحبوبة بالسقيم ، وذلك مما يتخلى ذوق الأديب عن قبوله ، ونظير هذا أن يمثل المصور السياسي أمة في سعة رفاهيتها وسعادة حريتها فيرسم صوراً كريهة للناظر تمرح بملابسها الفاخرة في رياض باسمة الأزهار ، ويرمز إلى روح الأمن والاطمئنان باسطة أشعتها في صدورهم بانتظام سيرهم والسكينة فى حركاتهم ، فهذا المثل كما رأيته مستوف للغرض الذي رسم من أجله لأن السعداء بنعمة الحرية يجب أن تكون وجوههم مشرقة وأعضاؤهم متناسبة ؛ ولكن ما ارتكز في النفوس من إعظام الحرية وشدة الشغف بها يخيل إليها أن من لبسوا رداءها وتحلوا بزينتها لابد أن تلقى على وجوههم نضرة النعيم وتعلوها وضاءة لا يبصر الناظر معها إلا حسناً. فاذا شاهد إنسان الاحرار في صور كريهة نقص إعجابه بالحرية أو نازع المصور في عدم إتقانه لذلك التمثيل. واتسع العرب في باب التشبيه حتى قال « المبرد » (١) في « الكامل » : « لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد » .

وتفننوا فيه على حسب توغلهم في الحضارة ومشاهدتهم للصور الغريبة ؛ ولا جرم أن يجد الناظر في تشابيه أدباء الأمة مايطلعه على نبذة من أحوالهم المدنية . فان كثيراً من الأشياء يتعالى الأديب عن الحديث في شأنها إذا ساقها إليك مساق التمثيل بها ، فمما يقرب معرفتك إلى

---

(١) « المبرد » : ابو العباس (٢١٠ - ٢٨٦ هـ ٨٢٦ - ٨٩٨ م) علم في بغداد ، ممثل لمذهب البصرة باللغة ، وخصمه « ثعلب » ممثل مذهب الكوفة . من مؤلفاته كتاب « الكامل » في اللغة والأدب والتاريخ جمع فيه منتخبات شعرية ونثرية وفسر فيه كل كلام غريب .

هيئة لباس النساء في عهد « ابن الرومي » (١) قوله يصف قوس الغمام :

يطرزهـا قوسُ الغمام بأصفرٍ ... على أخضرٍ في أحمرٍ وسْط مبيضٍّ
كأذيالِ خودٍ أقبلت في غلائلٍ ... مُصبَّغةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

ومن عرف القائل :

أأميمُ لوشاهدتِ يومَ نزالنا ... والخيلُ تحتَ النقعِ كالأشباحِ
تطفو وترسُبُ في الدماءِ كأنها ... صورُ الفوارسِ في كؤوسِ الراح

لم يبقَ على الجهالة بشكل الكؤوس المستعملة لذلك العصر وعقلها على أي صورة تصنع .

ولعلك تسمع قول « النور الأسعدي » :

يميناً ما مدحتك من ضلالٍ ... ولي في ذاك عذرٌ في الكمال
ولكني لأكملَ منكَ نقصاً ... كما جعلَ الطرازُ على الشمالِ

فنستفيد منه أن العلامة التي تجعل في ثياب الكبراء من قبل الأمراء ليمتازوا بها عن غيرهم كانت توضع في القديم على جهة اليسار كما هي عادة رجال الدولة اليوم في وضع غالب النياشين التي هي بمثابة الطراز .

---

(١) « ابن الرومي » : أبو العباس علي (٢٢١ - ٢٨٣ هـ ٨٣٥ - ٨٩٦ م) ولد في بغداد من أب رومي وأم فارسية . شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف والهجاء .

اتساع وضع اللغة العربية

تنقسم اللغات إلى : راقية وغير راقية ، فغير الراقية ما كانت موادها قليلة لا يسع التعبير بها أكثر مما تمس الحاجة إليه مثل اللغات الزنجية ولغة بعض سكان (أوستراليا) ؛ وهذه الأخيرة على ما نقل بعض الكاتبين ناقصة جداً بحيث لا يمكنهم التفاهم بها إلا مع إشارات حسية ، والعمى عندهم والمتخاطبون ليلاً بمنزلة من في آذانهم وقر لا يكادون يفقهون حديثاً . والراقية ماغزرت مبانيها ، واتسعت طرق دلالتها فكانت موفية بتأدية المراد مع الاستغناء عن الاشارة وعدم الاعتماد على قرائن الأحوال في الأكثر مثل اللاتينية والفارسية والعربية .

تحتوي اللغة العربية على ما يقوم بسداد الحاجة من أبنية الكلام بل على ما تدعو إليه زيادة التحسين والتحبير ، فانا نجد المعنى الواحد قد وضعت له ألفاظ متعددة لتكثر وسائل التفاهم حتى لا تأخذ المتكلم حبسة في أثناء الخطاب ، فاذا غاب عنه لفظ وسعه أن يأتي بمرادفه وإذا تعسر عليه النطق بكلمة كالألثغ عدل عنها إلى غيرها كما فعل « واصل الغزّال » (١) حين كان لا يحسن النطق بحرف الراء فتركه في زوايا الاهمال ولو لا المترادف ما أمكنه أن ينبذ الراء من كلامه جملة .

وقد يضطره الحديث إلى إعادة المعنى فلا يؤده أن يعيده بغير اللفظ الذي عبر به أولاً مثلما قال « معاوية » رضي الله عنه : من لم يكن

من « بني عبد المطلب » جواداً فهو دخيل ، ومن لم يكن من « بني الزبير » شجاعاً فهو لزيق ، ومن لم يكن من « ولد المغيرة » تياهاً فهو سنيد فقال : دخيل ثم قال : لزيق ثم قال : سنيد فخلص كلامه من كراهة التكرار وارتفع شأنه في الحسن درجة ؛ وبالمترادف استعان « المعتمد بن عباد » ملك « اشبيلية » وشاعرها حين وقف إثر جنازة ولده في محفل عظيم من الناس قاموا لتعزيته ، واقتدر على أن يجيب كل واحد من المعزين بعبارة لم يعدها إلى غيره مع كثرتهم وكونه في أسفٍ شديد .

قال « الباقلاني » (٢) : « ويقول العارفون بألسنة الأمم : إنهم لا يجدون في تلك الألسنة من الأسماء الموضوعة للشيء الواحد مايعرفونه من اللغة العربية » .

وتجد بعض اللغات خالية من علامة التمييز بين المذكر والمؤنث كاللغة الفارسية والتركية والانكليزية ، ومميزت العرب المؤنث عن المذكر بوضع الألف في اسم ، أو التاء في اسم وفعل كما فرقوا بينهما

---

(١) « واصل بن عطاء الغزّال » : أبو حذيفة . (٨٠ - ١٣١ هـ ٧٠٠ - ٧٤٨ م) رأس المعتزلة ، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين . اعتزل شيخه الحسن البصري ونشر مذهب الاعتزال . ولد بالمدينة ، ونشأ بالبصرة ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً .

قال « بشار بن برد » في حقه :

تكلفَ القولَ والأقوامُ قد حفلوا ... وحبروا خطباً ناهيكَ من خطب
فقال مرتجلاً تغلي بداهتُه ... كمرجلِ القين لما حف باللهب
وجانبَ الراءَ لم يشعر به أحدٌ ... قبلَ التصحف والاغراقِ في الطلب

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٢٠

في الضمائر والموصولات وأسماء الاشارة .

ومن اللغات ماوضع خالياً مما يدل على العدد كاللغة الانكليزية فاللفظ الدال على المفرد هو الدال على غيره ، ومنها مالا يوجد فيه سوى المفرد والجمع كاللغة الفارسية . وزادت العربية بما يدل على الاثنين فميزوه عن المفرد والجمع بعلامة الألف أو الياء وأفردوه في وضع الضمائر والموصلات وأسماء الاشارة بأوضاع خاصة .

ومن خصائص هذه اللغة ، جمع التكسير وجمع الاسم الواحد على عدة أمثلة » وهذا لا يشاركها فيه غيرها حتى اللغتان اللتان تجتمعان معها في أصل واحد : العبرانية والسريانية ، ويوجد جمع التكسير في اللغة الحبيزية من لغات بلاد الحبشة لأنها تفرعت في الأصل عن العربية .

ولا نجد في بعض اللغات أدوات رابطة بين الأفعال والذوات وهي « الحروف » مثل اللغة الصينية فيتكلفون في تأدية معنى « في » مثلاً إلى مايرادف كلمة « وسط » ولها في العربية محل من الاعتبار ومدخل في الدلالة على المقصود حتى أفردها بعضهم بالتأليف وعدها « ابن خلدون »(١) من خصائص العربية ونفاها عن غيرها ، وليس حكمه هذا بشامل لأن الحروف توجد في لغات أخرى مثل اللاتينية وما تفرع عنها .

ويحتمل الوضع العربي أن ينقل اللفظ عما وضع له أولاً ويستعمل في غيره على شرط المناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المقصود من اللفظ فيقال « غيث » مثلاً ويراد نبات و « أسد » ويراد شجاع ، وهذا ضرب

---

(١) « ابن خلدون » تقدمت ترجمته ص ١٣٥

من التوسع في الخطاب لأنه زيد للنبات اسم هو الغيث وجعل للشجاع ، اسم آخر هو الأسد ، بل أسماء الغيث كلها صارت بهذه الوسيلة صالحة لأن تطلق على النبات ، وجميع الألفاظ الموضوعة الأسد يصح استعمالها في الشجاع ، وترجع أمثلة هذا النوع المسمى « بالمجاز » إلى ضربين :

١ ـ ماكانت علاقته غير المشابهة ويعرف « بالمجاز المرسل » وقد أخبر الشيخ « عبد القاهر الجرجاني » (١) بأنه لا يوجد في غير اللغة العربية .

٢ ـ ماكانت علاقته المشابهة ويختص باسم « الاستعارة » وهذا الضرب لا تختص به العربية بل يجري به العرف في غير اللغات الراقية أيضاً فان بعض سكان (أوستراليا) لا يجدون في لغتهم مايفيد معنى « صلب » فاذا اضطروا لوصف شيء بالصلابة قالوا : حجر.

ويتمايز هذان النوعان في الترجمة أيضاً فلو أبدل مترجم الغيث في قولنا : « رعينا غيثاً » باللفظ الموضوع للنبات في اللغة المنقول إليها لم يتغير المعنى وكان مؤدياً للكلام بحاله ، ولو أنه ترجم بحراً في قولك : « رأيت بحراً يعطي الدنانير » للفظ يرادف « كريماً » ، ولم يعبر بالاسم الذي يوافق البحر في تلك اللغة لأخل بجانب المعنى ولم تكن الترجمة مطابقة .

وقد تجري العادة في لسان قوم باستعارة اسم شيء لآخر فيحسن موقعها من قلوبهم ولا يألفها قوم في مجاري خطاباتهم فتتبرأ منها أسماعهم

(١) « عبد القاهر الجرجاني » : تقدمت ترجمته ص ١١٣

وتنفرها أذواقهم ، وبمثل هذا يظهر النقص في صورة المعنى المؤدي لغة إذا نقل إلى لغة أخرى .

ولا تساع العرب في كلامهم بهذه الوجوه : المترادف وجمع التكسير والمجاز وما يشاكلها من القلب اللفظي نحو: « جبذ وجذب » ، وورود الكلمة الواحدة على عدة أحوال مختلفة بزيادة بعض الأحرف ونقصها « كاصبع وأصبوع » تمكنوا من بناء أشعارهم على هـذه الأوزان المعتدلة والتزموا فيها القافية ورويها بـدون كلفة فجاءت محكمة في وضعها بـديعة في نسجها .

قال « أبو نصر الفارابي » (١) : « إن الألسن العجمية متى وجد فيها شعر مقفى فانما يرومون أن يحتذوا فيه حـذو العرب ، وليس ذلك موجوداً في أشعارهم القديمة » .

وتيسر للعرب بهذه الأسباب أيضاً أن يأخذوا بطريقة « السجع » فيأتوا بالكلام قطعاً قطعاً ، ويلتزموا في كلتين منه قافية ، وكان هـذا النوع في زمن الجاهلية متداولاً بـدون أن يتغلب على المرسل وأكثر مايستعمل عند أصحاب الكهانة فانهم كانوا يلتزمونه التزاماً ، ثم هجره

---

(١) « الفارابي » : ابو النصر محمد (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ ٨٧٤ - ٩٥٠ م) ولد في فاراب وتوفي في دمشق من أعظم فلاسفة العرب ، من أصل تركي أو فارسي . أقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة الحمداني ملك حلب . لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو . أوجد الفلسفة الاسلامية الأفلاطونية الجديدة. تضلع بالرياضيات والموسيقا . له كتب كثيرة منها « تحصيل السعادة » و « فصوص الحكم » و « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

الناس في صدر الاسلام هجراً جميلاً فلا يستعملونه إلا إذا أرسلته السجية بدون تطلب وتصنع ، ثم أخذ في القرون الوسطى من العناية والخطوة مالم يكن له في صدر الاسلام ولا في زمن الجاهلية ، فدرج الناس على سنته في خطاب الجمهور والتزمه الكتاب في مخاطبة السلطان إلى الرعايا وكتبوا به بعض الرسائل العلمية ، وتغنت به الباعة في النداء على أمتعتها .

وبالغ بعض البيانيين في الرفع من شأنه حتى جعل تقديم الكلمة عن موضعها لصحة السجع أو الفاصلة من وجوه البلاغة ونبه « الباقلاني »(١) على عدم استقامة هذا الوجه بالنسبة إلى « الكتاب الحكيم » لأن صرف الكلمة عن مرتبتها في النظم لتوافق شيئاً من محاسن البديع نوع من التصنع الذي عابه علماء الفصاحة على المولدين ، ثم إن صحة السجع إنما هو عذر يقيمونه لرفع الملامة في مخالفة مايقتضيه السياق ، وإذا ساعدتك نفسك على الاعتذار به في سجع أو قافية من كلام البشر فلا تسمح لك بتقريره في كتاب الله الذي لا يعجزه أن يضع كل كلمة في منزلتها التي يستدعيها حال المعنى مع سلامة الفاصلة .

وأدرك كثير من المحررين أن المرسل أوسع مذهباً في البيان فعدلوا إلى طريقته في خطاب الجمهور الا إذا ساعدهم الطبع على السجع بسهولة كغيره من محاسن البديع (٢) .

---

(١) تقدمت ترجمته ص ١٢٠ .

(٢) اعتمد في كتابة هذا الفصل على كتاب « دراسات في العربية وتاريخها » للاستاذ « محمد الخضر حسين » .

نمو اللغة العربية

اللغة العربية أوسع اللغات مـــدى ، وأغزرهن مادة ، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة ؛ لكثرة أبنيتها ، وتعدد صيغها ومرونتها على الاشتقاق وانفساحها من ذلك إلى مايستغرق اللغات بجملتها ، مع أنها أقل هذه اللغات أوضاعاً ، حتى إن المستعمل منها لا يتجاوز ستة آلاف تركيب ، وإذا رددت الثلاثي منه وما فوقه إلى التركيب الثنائي ، لم يكد يزيد مايخرج منه على ثلاثمئة لفظة ، هي أصل الأوضاع وسائر التراكيب المستعملة متفرع عنها ، كما تفرعت سائر مواد اللغة عن هذه التراكيب بالاشتقاق ، وهي في الجملة لا تقل عن ثمانين ألف مادة : عدة مااشتمل عليه معجم لسان العرب .

وظاهر أن اللغة لم تترام إلى هذا الاتساع إلا بعد أن قلبت على وجوه كثيرة في الاستعمال ، وأديرت على مناحي مختلفة من الوضع حتى صارت لغة الحياة المنبسطة تصرفها الألسنة والأقوام في مناحي من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الاسلامي . وليس يخفى أن حياة اللغة وموتها يؤخذان بالاعتبار ؛ فان اللغة الحية هى التي تكون مشايعة بأوضاعها لكل ما يجد من مستحدثات الحياة .

والعربية قد غنيت بأوضاعها حتى كأنها خلقت لتماد الزمن ، وفيها من أسباب النمو مايحفظ عليها شباب الدهر ، غير أنه أصابها ماأصاب

أهلها من تبدد الكلمة واضطراب الأمر ووهن الاستقلال وتمزق المجتمع ، فأصبحت بعدهم كأنها محكومة بقوة خفية لا يعرف ماهي ولا يظهر منها إلا أثرها الذى تتبينه فيما لحق اللغة من الضعف وما رهقها من العجز ، وفي جمودها على حال واحدة كأنها مقبورة في كتبها منذ تراجع التمدن الاسلامي أيام العباسيين إلى قريب من هذه الغاية ، ومتى كانت اللغة صورة الأمة فان كل مايعتور هذه يتصل أثره بتلك ضرورة ، ولذلك بقيت العربية في نفسها على مرونتها الأولى حتى يتاح لها أقوام كأولئك الأقوام ، وتُقيض لها أقلام كتلك الأقلام (١) .

(١) تاريخ آداب العرب ـ للاستاذ مصطفى صادق الرافعي

طرق الوضع في اللغة العربية

لولا نمو اللغة العربية والطرق التي جرت عليها في الوضع ماخطت اللغة العربية في التاريخ خطوة واحدة . وأنت إذا تـدبرت المأثور من ألفاظ اللغة ، وجدته في الجملة لا يخلو من ثلاث :

إما أن يكون مرتجـلاً ، أو مشتقاً ، أو منقولاً على وجه من وجوه المجاز ؛ وهذه الثلاث هي طرق الوضـع التي تقلبت عليها العربية وهي تشبه أدوار الخلقة الـكاملة فانها ثلاثة أيضاً : التركيب ، والقوة ، والجمال ، فالمجاز جمال اللغة ، والاشتقاق قوتهـا ، والارتجـال تركيب الخلقة فيها ؛ ويندر أن تجد ذلك كلـه في لغة من اللغات على مقدار ماتجده في العربية ؛ فلا جرم كانت "حرية" بأن تكون مناط الاعجاز ، لأنها الخلقة اللغوية الـكاملة .

أما الارتجال : فهو وضع اللفظ ابتداء في أول أمر اللغة بتقليد الطبيعة ولا يمكن أن يحاط بأوائل كلامهم ، وعلى أي مقادير كانوا يضعونها غير أنه لاشك فيه أنه لم يبق وجه للزيادة على ماارتجلوه لتقليبهم صور التركيب المرتجلة على كل ما في آلات الصوت من المقاطـع وبحيث لم يدعوا منها إلا المستكره المبذوء ممـا يتعتع به اللسان وينبو عنـه السمع ولا يكون منه إلا تنكير الأسلوب وتغيير ديباجة اللغة ؛ بيد أن هذا إنما هو في الارتجال الذى تراعى فيه النسبة بـين اللفظ الموضوع والمعنى

الموضوع له كمحاكاة الأصوات والحركات الطبيعية ونحوها ، أما فيما عدا ذلك فان العرب كانوا يتصرفون في لغتهم ، فيرتجلون ألفاظاً قليلة ليست فيها ولا هي مأخوذة بالاشتقاق ، كما يصنع كثير من العامة اليوم ، فقد يتفق لأحدهم أن يضع كلمة يرتجلها لمعنى من المعاني على طريق التظرف والتملح ، فلا تلبث أن تشيع وتصير من أصل اللغة ، وكذلك كان يفعل العرب .

قال « ابن جني » فيما ينفرد به العربي من اللفظ ولا يسمع من غيره مايوافقه ولا ما يخالفه : « إنه يجب قبوله إذا ثبتت فصاحته لأنه إما أن يكون شيئاً أخذه عمن نطق به بلغة قديمة لم يشاركه في سماع ذلك منه أحد . . . أو شيئاً ارتجله ، فان العربي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل مالم يسبق إليه ، فقد حكي عن « رؤبة وأبيه »(١) أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سُبقا إليها ، أما لو جاء ذلك عن متهم أو من لم ترقَ له فصاحته ولا سبقت إلى الأنفس ثقته فانه يرد ولا يقبل »

ومهما يكن من ذلك فان الارتجال أمر مفروغ منه ، لأن تاريخ الشباب كله لا يقع فيه يوم واحد من عهد الطفولة .

وأما الاشتقاق : فان كل ماوضع من اللغة ارتجالاً إنما وضع لمناسبة بين الدال والمدلول على وجه من الوجوه ، ولولا تحقق هذه

(١) « رؤبة بن العجاج هو وأبوه » راجزان مشهوران من العرب ؛ وكان رؤبة خاصة بصيراً باللغة حتى لا يرون في التشبيه أن في معد بن عدنان أفصح منه وتوفي رؤبة بالبادية سنة ١٤٥ هـ عن سن عالية .

المناسبة ماتأتى للواضع أن يشتق لفظاً من لفظ لأن الأصل في الاشتقاق المناسبة في المعنى والمادة ، فلولا اعتيادهم مراعاة المناسبة في الوضع الاول ماتنبهوا إليه في الوضع الثاني ، لأن بعض الأشياء يدعو إلى بعض ، والارتقاء سنة لابد فيها من اطراد النسبة . وعلى هذا أمكنهم أن يجعلوا كل مقطع من المقاطع الثنائية أصلاً في الدلالة ، ثم يفرعون عنه بالاشتقاق معانيه الجزئية المختلفة التي ترجع في أصل الدلالة إليه ، فكأن المعاني سلائل مرتبة تنحصر كل طائفة منها تحت جنس معلوم ، على ما قرروه في مذهب النشوء والارتقاء ولا يزال هذا التسلسل متحققاً في اللغات السامية الباقية إلى اليوم ، وهو أظهر في العربية منه في أخواتها .

وقد نقلوا عن بعض المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع ، وكان بعض من يرى هذا الرأي يقول : إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل : مامسمى « إدغاغ » ؟ وهو بالفارسية الحجر ، فقال أجد فيه بساً شديداً ، وأراه الحجر .

أما خواص أهل اللغة والعربية فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، وقد عقد لها « ابن جني » باباً في « الخصائص » وهو أول من ابتدع القول بأن المعاني سلائل مرتبة ، وأن الألفاظ المختلفه ترد في الاشتقاق إلى قدر مشترك ، وكان شيخه « أبو علي الفارسي » يأنس بهذا الرأي قليلاً .

أما علماء العربية فقد قالوا : إن ذلك ليس متعمداً في اللغة ، لأن الحروف قليلة وأنواع المعاني المتفاهمة لا تكاد تتناهى ولا ينكر مع

ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة المادة معنى مشترك بينها هو جنس لأنواع موضوعاتها . ولكن التخيل على ذلك في جميع مواد التركيب ، كالطلب لعنقاء مغرب .

أما الكلام على الاشتقاق من حيث هو علم ذو أقسام وحدود ، فهو مبسوط في مواضعه من كتب الصرف والكتب الأخرى المجردة في هذا العلم ، ولا حاجة بنا إليه هنا ، لأنا إنما نريد جهة التاريخ منه وكونه سبباً من أسباب نمو اللغة وطريقة من طرق نشأتها .

وقد قلنا في تحقيق المناسبة بين الألفاظ والمعاني ، وأن أكثر أهل اللغة والعربية مطبقون على ثبوتها ، لأنها في الحقيقة ليست إلا توسعاً في المناسبة الأولى التي هيأت للواضع أن يضع بالتقليد والمحاكاة ، ونحن ذاكرون طرقاً مما يثبت تلك المناسبة :

قال الامام البيضاوي في تفسير قوله تعالى : « ومما رزقناهم ينفقون » : أنفق الشيء وأنفده أخوان ، ولو استقريت الألفاظ وجدت كل مافاؤه نون وعينه فاء دالاً على معنى الذهاب والخروج .

وقال في تفسير قوله عز وجل : « أولئك هم المفلحون » : والمفلح (بالحاء والجيم) : الفائز بالمطلوب ، كأنه انفتحت له وجوه الظفر ، وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو : فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح ، والزمخشري عناية بذلك في مواضع من تفسيره أيضاً .

ومن هذه الأمثلة أن تراكيب الهمزة مع الباء تدل على النفور

والبعد والانفصال : كأب : للسير ، وأَبتَ اليوم : اشتد حره فقطع الناس وفصلهم عن أعمالهم ، وأبد الوحش : نفر ، وأبر النخل : قطع شيئاً منه ، وأبز الظبي : وثب وانطلق ، وأبق العبد : فر ، وأبل : توحش وانفصل عن الناس ، وأبه عن الشيء : بعد عنه وتنزه ، وأبى الضيم : نفر منه .

والألف مع الزاي تدل تراكيبها على الضيق في الأمر ، وتراكيب الباء مع الدال تدل على الابتداء والظهور ، والباء مع الذال تدل تراكيبها على إخراج الشيء . والباء مع الراء تدل على الظهور ، وكذلك الباء مع الزاى .

ولو استقريت تراكيب اللغة كلها لوجدت مواد كل تركيب ترجع إلى أصل واحد ، ولو تأويلاً من طريق المجاز ، إلا ماتخلف عن سلسلة لأمر طارىء . وليس يخفى أن سلسلة الاشتقاق في لفظة إنما هي نسق تاريخي في تدوين نسبها اللغوي وفروع هذا النسب ، على أن الرواة قد أغفلوا كل مايتعلق بالجهات التاريخية في اللغة ، فلا جرم انثلمت سلاسل الاشتقاق وضاع كثير من تلك الأنساب ، إلا ماتدل عليه مشابهات الخلقة اللفظية . وهو مايعرف بالاستقراء كما مثلنا له آنفاً .

وكذلك نرى في أكثر صيغ الأمثلة من الفعل والاسم على السواء ، فان القياس ثابت فيها ثبوتاً بيناً ؛ كصيغتي فاَعلَ وتَفاَعلَ ، وكوزن فُعلة في الاسماء وغير ذلك مما نبهوا على اطراد القياس فيه وأحصوا شواذه .

ولو أن أحداً عكف على اللغة العربية فتتبع ألفاظها وتدبر

وجود اشتقاقها وتفقد مواضعها في كلام العرب ورتب صيغها وأوزانها على ما تقتضيه أغراضها بحيث يستقر كل مثال منها في نصابه ويرد إلى حيزه لجاء من ذلك بعلم يكشف عن كثير من أسرار الوضع ويهتك عن أستار الحكمة المستكنة في دقائق هذه اللغة العجيبة التي يزيد في العجب منها أنها لغة تلك العقول الفطرية ، والفطرة وإن كانت تختص بمسحة الهية إلاأنها تكون أصل الكمال في النفس لاأنفس الكمال .وهذه اللغة يوشك أن يكون أمرهامنجزاً على ما رأيت بحيث لا يبلو في رأينا من يقول:إنها بسبيل من الأوضاع الالهية «في التوفيق والالهام» لاأن أثر ذلك قد ظهر في القرآن .

وأما المجاز : فهو الوضع الأخير في اللغة ، ولذا نجد مراعاة المناسبة فيه على أضعف وجوهها ، فكأنهم في الوضع الأول راعوا المناسبة الثانية التي لا زيادة فيها ، ثم توسعوا في هذه المناسبة بنوع من التصرف في الوضع الثاني وهو الاشتقاق . ثم بلغوا آخر حدودها «المناسبة» في المجاز ، وهذا مما يؤكد أن اللغة حكاية للطبيعة ، فان كان ثَمَّ توقيف أو وحي فيكون في هداية العقول إلى أسرار هذه الحكاية ، ولا بد في استكناه منطق الطبيعة من الذهن الشفاف والبصيرة النفاذة والالهام الخفي الذي يشبه أن يكون قبساً من النور الالهي يضيء بين العقل والقلب فلا يقع شعاعه على جهة من الطبيعة إلا كشف منها عن معاني الأسرار الالهية .

والمراد من المجاز : التوسع في الحقيقة ، لاأن الألفاظ الحقيقية تمضي لِسَنَنِهَا المعروف فلا يبقي ثَمَّةَ وجه لتقوية الحقيقة المرادة منها بالاتساع أو التوكيد أو التشبيه . وليس يخفى أن الحقيقة الواحدة

تتنوع في ذاتها إلى أجزاء متشابهة ، وتتنوع في معناها أيضاً على درجات من الضعف والقوة ؛ فاذا كان معنى « الكوكب » في الوضع اللغوي الدلاله على هذا الجرم السماوي الذي يشبه نكتة بيضاء في رأي العين ، ثم رأيت في عين الانسان نكتة بيضاء تغشي سوادها فقد تجزأت الحقيقة النظرية هنا في ذاتها فنطلق على بياض العين « النكتة » اسم الكوكب مجازاً لمناسبة بين الاثنين في الشكل ، وكذلك نقول في التوكيد : « فلان أسد » نريد إثبات شجاعته في النفوس بدرجة متناهية مؤكدة ، ثم نقول في التشبيه : « فلان على جناح السفر » أي لا يلبث أن يسافر ، كأنه طائر بسط جناحه فليس إلا أن يطير ؛ وإنما مدار ذلك كله على التوسع في المثال الحسي إذا ضاقت به الحقيقة المألوفة في التعبير .

ولسنا نخوض هنا في أنواع المجاز وجهاته ، وتحقيق القول في الاستعارة وأقسامها ، فذلك من موضوع « علم البيان » ، بل هو البيان كله على ما قيل ، وإنما نتناول الكلام من حيث يتصل بمعنى التاريخ ، فالمجاز صنعة حقيقية في اللغة لا تتهيأ إلا بعد أن يكون العرب قد استكملوا أسباب النهضة الاجتماعية من المخالطة واقتباس بعضهم عن بعض ، واعتبارهم أنفسهم في أمر اللغة مجموعاً معنوياً فيتصرفون إلى تشقيق الكلام وتتبع أظلال المعاني في أجزائه حتى تتسع لغتهم على نسبة الاجتماع المعنوي .

لا جرم كان للمجاز في اللغة هذا الأثر الذي بسط منها حتى فاضت أطرافها على المعاني ، وتهيأ فيها من أنواع الوضع ، وطرق التعبير ما يعد في اللغات ميراثاً خالداً تستغل منه المعاني في كل جيل ، ويضمن للغة الثروة وإن أفلس أهلها .

والوضع بالمجاز يعتبر اشتقاقاً معنوياً ، فما لم يتهيأ للعرب أخذُه من

طريق الاشتقاق أخـذوه بالنقل من طريق المجـاز ، وبذلك وسعوا لغتهم من جهات :

١ ـ الاكثار من الألفاظ وتعدد الوضع تفنناً في التعبير ، كما تسمى الخوذة بالبيضة وبالتريكة وهي بيضة النعام بعد أن يخرج منها الفرخ وكتسمية المطر بالسماء والبانت بالغيث ونحو ذلك .

٢ ـ التذرع إلى الوضع فيما لم يوضع له لفظ من المحسوسات ، كتسمية البياض في العين بالكوكب ، وغضروف الأذن بالمحارة وكقولهم: عنق الابريق . وساق الشجرة . وإبط الوادي ونحو ذلك .

٣ ـ التذرع إلى الوضع لتمثيل صور المعاني كقولهم : « نبض البرق » إذا لمع خفيفاً ، من نبضان العرق ، و « سبح الفرس » إذا مد يديه في الجري كما يفعل السابح في الماء .

٤ ـ لرمز إلى حقائق المعاني كقولهم : « سافر ولا ظهر له »، أي ولا دابة يركب ظهرها ، و « فلان يملك كذا رقبة » أي عبداً ، « وقطع الأمير اللص » أى قطع يده ، « وبزتُ الخمر . أي ثقبت دنها وهذه الجهات الأربع الأصلية تجمع أنواع المجاز وكل ما يحمل على هذه الأنواع ، ثم هي معان تشبه أن تكون تاريخيـة في حركـة النمو والاتساع من هذه اللغة .

وهكذا نرى المعاني سلسلة متصلة من أول المادة إلى آخرها وهذا هو الأصل الذي عليه معظم كلامهم ؛ فاذا تدبرته رأيت أن اكثر اللغة مجاز لا حقيقة ، وتبينت صحة قولهم : إن منكر المجاز في اللغة

جاحد للضرورة ومبطل محاسن لغة العرب .

وقد ذكروا أن بعض العلماء يذهبون إلى أن اللغة كلها حقيقة وان تسمية الرجل الشجاع بالأسد لغة لقوم ، وتسمية الحيوان المفترس بالأسد لغة أخرى . . وهو رأي بيّن الأفن أورده بعض علماء الأصول لأنه مما يُتَمحل له ويرد عليه ويكون مادة في الجدل ، وذلك من أمرهم .

تلك هي طرق الوضع التي سلكوا منها إلى اللغة في كل أطوارها ، حتى أصبحت من الاتساع والنمو ماهي . ولكن لهذا النمو أنواعاً تحدد في جملتها أجزاء هذه اللغة ، وتصف تاريخ اتساعهم فيها وهي من هذه الجهة تعتبر تماماً على الذي تقدم وتفصيلاً له ، وتلك هي الابدال ، والقلب ، والنحت ، والترادف ، والاشتراك ، والتضاد ، والمداخلة بالتعريب ، والتوليد (١) .

---

(١) انظر بحث « عوامل نمو اللغة العربية » ص ٨٧ ـ ٨٩
وللتوسع ارجع إلى بحث « أنواع النمو في اللغة » للأستاذ «مصطفى صادق الرافعي» في كتابه « تاريخ آداب العرب » الجزء الأول ص ١٨٤ ـ ٢١٥

الفصل الرابع

دفاع عن اللغة العربية

اقتباس اللغة العربية من غيرها دليل مرونتها

ارتقاء اللغة العربية مع المدنية دليل صلاحيتها للحياة

الاسلام لم يعق نمو اللغة العربية ورقيها مع المدنية

ليست اللغة العربية ضيقة النطاق عاجزة عن مسايرة ركب المدنية

كيف وجدت اللغة العامية العربية

بين اللغة العامية واللغة العربية

قيام مجمع لغوي عربي واحد ضمان لنهوض اللغة العربية

لن تنهض الشعوبية رأسها بعد الآن أمام حماة اللغة العربية

خاتمة

اقتباس اللغة العربية من غيرها دليل مرونتها

مما يشهد للعرب بارتقاء أفكارهم وبعدها عن ساحة الجمود أنهم لم يستنكفوا مع إعجابهم بفصاحة لغتهم وعلمهم بكثرة مفرداتها وتصاريفها أن يضيفوا إليها من لغات الأمم مايوفر عددها ويزيدها سعة على سعتها ، ومن هذه الألفاظ الدخيلة ما يبقونه على حالته التي كان عليها عند العجم نحو : « كركم » ومنه مايغيرونه بالنقص أو بالزيادة أو الابدال لا سيما اذا كانت حروفه مخالفة في المخارج والصفات لحروف لغتهم مثل « فيروز » فاؤه عند العجم بين الفاء والباء ، ومثل « الاسقف » وأصله باليونان (ايسكويوس) وربما اشتقوا منه افعالاً على قياس ما يشتقونه من أسماء الأجناس الأصيلة في أبنيتهم نحو « تطيلس » إذا لبس الطيلسان و « ألجم الدابة » إذا وضع اللجام في فمها واتسعوا في تصريفها إلى أن نقلوها إلى غير معناها على سبيل المجاز فقالوا : « لجمه الماء » إذا بلغ فاه .

وإذا تصرفوا فيها كما يتصرفون في أوضاع كلامهم صارت بمنزلة الألفاظ المرتجلة عندهم ، وليس بصحيح مايزعمه بعضهم من أن إدخال الألفاظ الأعجمية على اللغة مفسد لها فان القرآن وهو الراقي بفصاحته إلى حد الاعجاز قد اشتمل على عدة كلمات غير عربية نحو « مشكاة » من الهندية و « استبرق » من الفارسية و « قسطاس » من الروميه وهذا لا ينافيه قوله تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » فان هذه الألفاظ لما أخذها العرب وأدخلوها في لسانهم اختلطت بلغتهم وصارت معدودة فيما هو عربي فصيح فلا يخرج الكلام

الشامل لها من نسبته إلى العربية .

وأنكرت طائفة منهم « ابن جرير الطبري » وقوع المعرب في القرآن وادعوا أن هذه الامثلة مما توارد فيها اللغات فتكلمت بها العرب والفرس أو الروم مثلاً بلفظ واحد من دون اقتباس ولا يصح القول بهذا في مثل « استبرق وسندس » لأن الثياب الحريرية ليست من مصنوعات العرب وإنما عرفوها من الفرس .

وتجاوز كثير الحد في هذا النوع وأتوا إلى كل لفظ عربي يعثرون عليه في لغة أخرى وحكموا عليه بأن العرب اقتبسته من تلك اللغة وإن كان معناه مما شأنه أن تشترك فيه الأمم أو لا يدري من الذي أنشأه سابقاً مثل « الهرج » أي الفتنة ، و « الدرى » أي المضى و « الشطر » أي الجهة . يقول بعضهم : إن العرب أخذتها من الحبشة ، ولن يجد دليلاً على ذلك إذ يحتمل أن الحبشة هي التي أخذتها من العرب أو تكلم بها الفريقان على سبيل الاتفاق .

ارتقاء اللغة العربية مع المدنية دليل صلاحيتها للحياة

يعلم كل من له حظ من تعاليم اللغة العربية أن موضوعاتها لم تقف عندالحد الذي انتهت إليه قبل الاسلام،ولا في زمن نزول الوحي فكثيرمن الألفاظ وقع التصرف فيها فنقلت إلى شرائع ومعان لا تعرفها الجاهلية مثل : « الصلاة والصوم والحج والزكاة والمنافق والفاسق والمخضرم » ولما دونت العلوم على اختلاف فنونها وحدثت معان لم تكن اشتقوا لها أسماء من اللغة وأجروها مجرى العربي الصحيح في الاستعمال ولم يقتصروا على الاشتقاق من العربية ، وسلكوا طريقة العرب في اقتباسهم من غير لغتهم فنقلوا جملة من الكلمات الأعجمية واستعملوها بحالها نحو : « السمقونيا والاسطرلاب » من اللغة اليونانية و « الاسطوانة والبنج » من اللغة الفارسية .

هذه الاصطلاحات المتجددة ، وإن كان السبب الذي يدعو إلى وضعها أولاً هو الحاجة إلى التفاهم في مسائل تلك العلوم فلاجناح على على من أوردها في أغراض خارجة عن العلم متى جرت إليها مناسبة تشبيه أو تلميح في خطاب لا يقصد به إلا الخاصة من الأدباء ، وإنما يعاب استعمالها في مثل المقالات والقصائد والخطب التي يوجه الخطاب فيها إلى عامة الناس لغموض معانيها ، وعدم اشتهار وضعها ، وفي قصائد الشعراء ووسائل الكتاب من التلميحات والتشابيه بالمعاني العلمية مايستحق أن يذكر في عدد حسناتهم البديعية كقول « بدر الدين الدماميني »

في بعض قصائده :

وقد شابه الأعداء جمعاً مؤنثاً لذاك غدت في حالة الفتح تكسر

وكثرت اصطلاحات الفنون ، واتسعت شعوبها حتى خصصوها بمعجمات مثل كتاب « التعريفات ـ للجرجاني ، وكتاب « الكليات ـ لأبي البقاء » وكتاب « كشاف اصطلاحات الفنون ـ للتهانوى »

الاسلام لم يعق نمو اللغة العربية ورقيها مع المدنية

مما تقدم يتبين أن الاسلام لم يعق العربية عن النمو ، ولا شد وثاقها عن الارتقاء مع المدنية كما يزعم بعض الناس : من أن المسلم الخالص يلزمه أن يبقي اللسان الذى نزل به القرآن على حاله . وتحويل الكلمة عن معناها الأصلي إلى معنى جديد يعد تغييراً للغة .

فهذا لفظ « الباي والسفير والمشير ومجلس الشورى » وكثير من اصطلاحات الصنائع والفنون لم تكن معروفة في صدر الاسلام بهذه المعاني الخاصة ويستعملها الناس منذ وضعت بدون تحرج منها أو دخول شبهة عليهم في استعمالها .

ومما يزيل هذا الغلط ويمحو أثره أن العربية لم يحتكرها العرب المسلمون لأنفسهم ، ولا سدوا أفواه القوم المخالفين لهم عن التخاطب بها ، بل لا تزال طوائف ذات ملل مختلفة من حين بزغت شمس الاسلام إلى يومنا هذا فعلى تسليم أن يقضي الاسلام ببقاء اللغة واقفة عند حد فلا يجري حكمه هذا إلا على من لبسوا هديه وتطوقوا بقلادة شريعته لأن هؤلاء الطوائف وإن ضمهم الاسلام تحت حمايته ، فانه يطلق لهم الحرية فيما يدينون وما يصنعون ولا يحملهم على ما يقرره من الأصول أو الفروع فاذا قدرنا أن العربية سكنت أنفاسها ولحقت بأصحاب القبور وكما يزعم البعض فهي وسيلة من وسائل الارتقاء وسعادة الحياة ، أهملتها أمة غير متحدة في الملة فكيف يستقيم لنا أن نلقي مسؤولية ذلك

على عاتق دين لا تنسحب واجباته على جميعها ، وليس التصرف في ترقية حال اللغة من متعلقات السياسه خاصة حتى يقال : إن أمره في يد الهيئة الحاكمة وهي متلبسة بشعار الاسلام ؛ فلو نهض أفراد من أمة غير مسلمة يسعون إلى عمل لا يلحق بغيرهم ضرراً كاصلاح لسانهم لم يكن للدولة الاسلامية بوصفها إسلامية أن تعارضهم وتحول بينهم وبين ذلك المسعى ، وإن كان عملاً غير صالح في شريعة الاسلام .

فليس من العدل في القضية أن نسند موت اللغة لو وقع الى الاسلام وحده وهي لسان أمم لا تجمعها شريعته .

ليست اللغة العربية ضيقة النطاق عاجزة عن مسايرة ركب المدنية

يزعم بعض الذين لا يفهمون اللغة العربية أن اللغة العربية ضيقة لاتسع تحريرات العلوم العصرية ، ولا يمكن أن يوجد فيها أسماء لهذه المخترعات نحو « فوتغراف وتلفون وتلفزيون » وغير ذلك . والرد على هذا الزعم نقول :

هذه قضية تردها شهادة التاريخ والعلم ، فان علوم الحكمة والطب والهندسة والعلوم والفلك والمنطق وغيرها قد ترجمت في عهد الدولة العباسية. ودونت بالقلم العربي وأصبحت تدرس بلسان عربي مبين ، وأما شهادة العلم فانه يمكننا أن نضع لهذه المعارف الحديثة أسماء عربية وهو أحسن الطرق وأفضلها لئلا تكثر الألفاظ الدخيلة وتتغلب على ماهو عربي فتؤول بكثرتها إلى خروج الكلام وانسلاخه عن صيغته العربية ، فان اللغات تتمايز بالاساليب وبالمفردات إلا ما كان قليلاً .

ولما كانت العربية من اللغات المتصرفة يشتق منها : « اسم الفاعل والمفعول والمكان والآلة . . . الخ » سهل الطريق إلى وضع أسماء مفردة لهذه المستحدثات فان أكثرها من قبيل المكان أو الآلة أو الموصوف بالفعل وهناك وسيلة أخرى هي طريقة المجاز ، فاذا عرض لنا معنى جديد نظرنا إلى لفظ يتناوله على وجه عام مثلاً أو مستعمل في معنى يقرب منه وعلقناه عليه كما فعل بعض الاذكياء في « رتل وقطار وبريد ومنطاد

وعربة » ولا تثريب علينا إذا لم نهتد إلى أسماء مفردة أن نعلق عليها أسماء مركبة نحو « حاكي الصدى » « للفوتوغراف » وكذلك يفعل الافرنج الآن فأسماء المستحدثات عندهم من قبيل المركب أو المنحوت .

وبعد هذه الوسائل فان العربية كما علمنا تتلقى مايرد عليها من الألسنة الأخرى وتقبله بقبول حسن بعد تنقيحه وسبكه في قالب عربي فلا مانع من أن نقتبس أسماءها الموضوعة لها في اصطلاح مخترعيها عند استحسانها وتهذيبها ثم نحشرها في زمرة ماهو عربي فصيح .

★ ★ ★
★ ★

كيف وجدت اللغة العامية العربية

إن اختلاف أعضاء النطق في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب الناطقة بها من بعض أسباب اختلاف اللغة الواحدة في تطورها الصوتي ، وذلك أنها تسلك في تطورهـا الصوتى عند كل شعب مسلكاً مـع ما فطرت عليه أعضاء نطقه في طبيعتها واستعدادها ومنهج ارتقائها .

واللغة العربية قد اتجهت في تطورها الصوتي عنـد كل شعب من الشعوب الناطقة بها وجهة تختلف عن وجهتها عند غيره ، فلم تلبث أن تولد عنها من جراء ذلك عدة لهجات :

عامية الشـام — عامية العراق — عامية نجد والحجـاز — عامية اليمن — عامية مصر — عامية تونس — عاميـة الجزائر — عامية المغرب .

حقاً إن مظاهر هذا الاختلاف يرجع إلى عوامل اجتماعية ونفسية أو إلى آثار البيئة الجغرافية ، ولكن ليس من شك في أن بعـض هذه المظاهر يرجع إلى العامل الشعبي ، وعلى هذا العامل يقع قسط من التبعية فيما يصيب اللغة من تحريف في أصواتهـا عندما تنتقـل من شعب

إلى آخر ، وذلك أنها تتشكل عند الشعب المنتقل إليه في الصورة التي تتفق مع مافطرت عليه أعضاء نطقه في بنيتها واستعدادها فتبعد بذلك عن أصولها الأولى ويزداد بعدها كلما اتسعت مسافة الخلف بين أصول الشعبين .

بين اللغة العامية واللغة العربية

إذا تتبعنا لغة التخاطب الآن لنعلم نسبتها من العربية وجدناها نفس العربية ولكن طرأ عليها التحريف بنقص أحوال الاعراب أو تغيير حروف بعض الكلم بالحركة أو السكون أو التخفيف أو التشديد أو الحذف أو الزيادة أو القلب أو الابدال ، وقد يرد الخطأ عليها من ناحية الاشتقاق نحو « شايب ومهبول ومبروك » فان الصحيح عربية : « أشيب وأهبل ومبارك » ، وهناك كلمات دخيلة اقتضتها سنة المخالطة وقدرها بعض المحررين بالنسبة إلى ماهو عربي في لسان السوريين بخمسة في المئة وليس التفاوت بينهم وبين التونسيين ببعيد .

ومن شواهد أن لغة العامة لسان عربي دخله التحريف أنك تراهم يستمعون إلى القرآن الحكيم فيفهمون ظاهراً منه ويتأثرون لسماعه وتسرد عليهم القصص المؤلفة بقلم عربي فلا يفوتهم من فهمها الا ماكان نادراً واستشهد البعض على عدم حياة العربية بأن الجرائد المحررة بقلم راق لا يفهمها جميع الناس . وهذا مسلم في المنشآت التي يرمي فيها الكاتب إلى أنظار بعيدة عن أفكار العامة ، ولا أظن العالم والأمي في أية أمة يكونان سواء في فهم التحريرات المشحونة بالأنظار العالية ، وإن كانت خالية من المعاني العلمية واصطلاحاتها ، وأما ماكانت معانيه قريبة التناول كأخبار الوقائع والاعلانات فلا يخفى عليهم فهمها وإن كانت عباراتها راقية

إلا أن تشتمل على بعض مفردات غريبة وعندهم مايرادفها من العربي صحيحاً أو محرفاً .

ولا ننسى أن لغة العامة في كل أمة لا تنطبق بجملتها على اللسان الذي يكتب به علماؤها ، وإن كان الفرق بينهما في ممالك أوروبا على ماينقل أقل من الفرق بين لغة التخاطب عندنا والعربية الفصحى لأن أولى الأمر منهم في الأعصر القريبة كانوا أشد عناية بشأن التعليم وأحرص على تعميمه بين رعاياهم واستقامة ألسنة الأمة في اللغة على قدر مايفتح لها من أبواب التعليم ويتخذ فيه من الوسائل القريبة ، ولهذا نرى لسان المتعلمين منا أو من يتردد على صحبتهم أقرب إلى العربية من لسان الأميين الذين لا يحمون على ساحة التعليم .

ثم إن ماقرره البعض في شرط حياة اللغة وبنوا عليه الحكم بموت العربية وهو : أن يكون لسان التخاطب مطابقاً للسان الكتابة تماماً . نحن في سعة واختيار من قبوله والاعتبار بوزنه سواء قلوه من تلقاء أنفسهم أو تبعوا فيه سلفاً على وجه التقليد ، فان شرطهم هذا أمر وصفي لا يستند في تحقيقه إلى حجة عقلية فلا يكبر علينا الالتفات عنه ونعتمد وصفاً آخر لشرط الحياة فنقول : إن اللغة الحية هي التي يكتب بها طائفة من الأمة على وجه الصحة ويمكنهم أن يتفاهموا بها كذلك في أي عرض يعرض ، وإن كانت في نطق العامة محرفة ونسمي ذلك التحريف « مرضاً » لا موتاً حقيقياً .

وإذا أثبت أن لغة التخاطب الآن عربية ولكنها ابتليت بعلل يرجى برؤها منها وعودها إلى تمام صحتها بالمعالجة شيئاً فشيئاً فلا يحسن بنا أن نهجر اللغة الفصحى ونسعى في تدوين لغة العامة على علاتها فان

تحريفها يختلف بحسب اختلاف الأقطار والبلاد حتى يكاد أهل الاقطار المتباعدة لا يفهم بعضهم خطاب بعض وإن اشتركوا في فهم العربية الصحيحة ، وإذا أريد أن أهل كل قطر أو بلاد يدونون لسانهم المحرف فانظروا ماذا ترون ! أيجمل بنا أن نعمد إلى لغة يشترك في التفاهم بها جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم ويتخاطب ابن الصين مع ابن مراكش بدون واسطة ترجمان وبينهما بعد المسافة مثل مابين ملتقى الخافقين ، وتفرقها إلى لغات شتى تفريقاً يجعلها في الأقل لغات سافلة منزوعة من سر الفصاحة والرونق ، ولا تجد قوة تذود بها عن حياضها كما وجدت العربية من ذات فصاحتها حامياً ونصيراً ؟ !

قيام مجمع لغوي عربي واحد ضمان لنهوض اللغة العربية

سبق أن تحدثنا في بحثي « اللغة العربية بين الماضي والحاضر » و « نهوض اللغة العربية » : أن اللغة العربية لم تقع في هذا التباطؤ لقلة مفرداتها أو ضيق دائرة تصريفها أو إبايتها نقل بعض كلماتها عن معانيها الأصلية إلى معان أخر تناسبها ، وإنما علة ذلك التباطؤ والنقص غفلة المعهود إليهم عن القيام على حياة اللغة ومسايرتها للعلوم والفنون والمدنية جهلاً منهم بمنزلة اللغة العربية بين اللغات أو زهداً منهم بلغتهم لركونهم إلى لغة أخرى ، أو كسلاً وتقصيراً عن القيام بواجبهم نحو العربية حتى هان أمرها عليهم فهانت على الناس وضعف شأنها ، وأتانا عهد شوهت فيه لغتنا وغزيت من لغات أخرى كثيرة حتى انعدمت سليقة اللغة العربية في أكثر النفوس .

وقلنا : والآن يجب أن تبعث العربية من جديد . ويصبح أبناء العربية مالكين لزمامها ، متذوقين لخصائصها ، وحينئذ تنطلق هذه اللغة دون قيد إلا ماتقيدهم به خصائص اللغة نفسها من قواعد الاشتقاق والأبنية والصيغ .

ثم قلنا : إن الوسيلة التي تنهض بالعربية وترفعها إلى مستوى اللغات الراقية هي الوسيلة التي نهضت بتلك اللغات الحية وجعلتها تسير مع العلم والحضارة كتفاً لكتف أعني تأليف « مجمع لغوي عربي واحد » يحيي

من اللغة مواتها ، ويضم شتاتها ، ويثـــير دفينها ، ويطلق من الاسار سجينها ، ويكون مثابة الباحثين ، وملتقى المنقبـــين ، ويكون عكاظ جاهليتها ، ومِرْبد إسلامها . ينظر فيما تجدد أو يتجدد من المعاني ويضع لكل معنى لفظاً يناسبه .

فالعلوم تتدفق تدفق السيل ، ومقتضيات المدنية تتجدد تجدد النهار والليل ، وكل من المعاني العلمية و لمرافق الحيوية يحتاج إلى أسماء تلتئم مع سائر الألفاظ العربية التئام الدرر النقية في أسلاكها .

ولنذكر أن الكلمات الكثيرة التي حدثت في اللغة العربية لهـذا العصر وأصبحت تجري على ألسنة أدبائنا وتخطها أقلام كتابنا وهي عربية المنبت خفيفة على السمع آخذه حظها من مناسبة الوضع إنما هي من صنع أفراد قد تنساق إليهم من نفسها فيقع عليها اختيارهم ، وتصادف في الناس حاجة فتتلقفها ألسنتهم وهذه الطريقة لا تشفي غلة العلم ولا تملأ للمدنية عيناً ، وإنما يشفي غلة العـلوم المتكاثرة ويملأ عين المدنية الزاخرة قيام « مجمع لغوي عربي واحد » يسير مع العلوم والمدنية لا يتأخر عنها طرفة عين . ويضع الوسائل السليمة لنهوض اللغة العربية ثم يرعى تنفيذها. تتحد فيه مجامع الدول العربية ، ويضم أعلام اللغة العربية ، وكبار المشتغلين بعلومها وفنونها ، ويشمر هؤلاء عن ساعد الجد والعمل ، ويعملون باخلاص زائد ودأب مستمر ، تمدهم الدول العربية والاسلامية بما يحتاجون من مساعدات مادية وأدبية ، وتشجعهم وتكرم المتفانـين منهم والمبرزين ، وتهيىء لهم سبل العمـل والانتاج ثم تطالبهم بنتاج عقولهـــم وقرائحهم وأيديهم ، لنرى منهم بعد ذلك العجب العجاب ، وحينئذ حدث ولا حرج عن رقي « اللغة العربية » وارتفاع شأنهـا وعلو كعبها ؛ والأمل كبير - بمشيئة الله تعالى - أن يعي رجال الأمة العربية المخلصون ذلك ويعملوا

في سبيل مستقبلٍ مشرقٍ للغة العربية حتى يعين ذلك على نهوض أمة العرب من جديد . وتبقى اللغة العربية نابضة بالحياة ، مورقة مزهرة تؤتي أكلها كل حين باذن ربها . ولله در « حافظ ابراهيم » إذ يقول على لسان العربية :

فياويحكم أبلى وتبلى محاسنى ... ومنكم وإن عز الدواء أساتى

فلا تكلونى للزمان فانني ... أخاف عليكم أن تحينَ وفاتي

أرى لرجال الغرب عِزاً ومَنعةً ... وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً ... فياليتكم تأتون بالكلمات

لن تنهض الشعوبية رأسها بعد الآن أمام حماة اللغة العربية

كانت لغتنا العربية كما أسلفنا بالغة من حسن البيان مكانة الذروة وكانت تجري مع ركب الحضارة والعلوم جنباً إلى جنب ، ثم أدرك العربية نقص منذ حين وأخذت تتباطأ في مسايرة ركب المدنية حتى تقدمها كثير من اللغات النامية ، والعربية تقف دونها صامتة .

ولو كان في العربية عور وعيب مما يصيب اللغات لعذرنا أولئك الذين يحاولون صرف الألسنة عنها وهجرها إلى لغات أخرى ، ويدعون إلى أن تأخذ كل جماعة بلغتها المعتلة المشوهة . ولعذرنا الذين يدعون إلى استعمال الألفاظ الأعجمية .

إن مثل هؤلاء كمثل أب له ولد وحيد يحبه حباً جماً ويفديه بكل غالٍ ونفيس حتى إذا مرض الولد وأصابته العلة وقيل له : خذ ابنك إلى الطبيب فان ابنك مريض قال : أنا أفضل أن يموت ابني من أن أصحبه إلى طبيب يشخص داءه ويصف له الدواء اللازم ؛ وكذلك حال هؤلاء مع اللغة إن كانوا عرباً يحبون لغتهم وتجري في عروقهم دماء عربية . أما إذا كان هؤلاء شعوبيين يكرهون العرب والعربية فهم معذورون فيما يقولون . وليس للعربية إلا أن تقول لهؤلاء :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل

ولو أنهم ينتمون إلى العرب والعربية ، ويلبسون لبوسها ، وينطقون بها وإلا فما بالنا في كل يوم نسمع ناعقاً يطعن في العربية ، وناعياً ينعى العربية ، ومشككاً يشكك أبناء العربية بأمهم ، ومبتدعاً يبتدع سوءاً ، ومحدثاً يحدث أمراً إدّاً ؟ ! وكل هؤلاء : إما أستاذ جامعي ، أو أديب كبير ، أو شاعر عظيم ، أو صحفي لامع أو فيلسوف جامع ، أو لغوي بارع .

فهذا « عبد الرحمن بدوي » يدعو بدعوة مجرمة لقطع الصلة بين الأمة ودينها فينادي : يجب أن نبدل حروف لغتنا العربية بحروف لاتينية . بحجة تسهيل تعلمها وتعليمها وتبسيط قراءتها وكتابتها .

وهذا « طه حسين » الذي يسمونه « عميد الأدب العربي » يحاضر في اللغة العربية والأدب العربي فينكر ويشكك الأمة بلغتها وأدبها ودينها .

وهذا آخر يقول : إن كثرة المترادفات والجموع في العربية دليل ضعفها ، وليست ثروة يعتز بها.

وهذا شاعر يدعى « بولس غانم » يعلن كراهيته وحقده الأسود على « أبي الطيب المتنبي » وتتحول هذه الكراهية إلى مزاجٍ خاص لا يشاركه فيه شاعر ، وذوقٍ عجيب في كراهية شعر المتنبي ، وصوتٍ كقصف الرعد ، ولعناتٍ كزخة الغضب ، وبروقٍ من الحقد ينزلها ناراً مشتعلة على رأس أبي الطيب « مالىء الدنيا وشاغل الناس » ! ! لماذا ؟ لأن بولس هذا

ينكر على المتنبي شاعريته ويرميه بالتكلف والسرقة وفساد الذوق ؟ ! فاذا سئل ماهـــذه الجعجعة والهراء ياشيخ بولس ؟ أجاب : إن حبي لألفريد دي موسيه ، وإعجابي بفكتور هيجو ولامارتين استحالا إلى إيمان بكل ماهو غربي ، وإنكار كل ماهو عربي ، ثم جاء ضغثاً على إبالة هذا المتنبي العربي المتأله السمج وزاد الطين بلة . ويقول : وددت والله أن أكون فرنسياً لحماً ودماً اسمـــى ادمون أو شارل من أن أكون الشيخ بولس غانم الشاعر سليل مشايخ لبنان حتى لأأقف جنباً إلى جنب مع المتنبي الشاعر العربي الجلف ! !

وهكذا يقف « حسين فوزي » و « سلامه موسى » ويؤلفان شناً وطبقه في الحب والفنـاء ، والـكراهيـة والبغض ، والتعالي والتأبي ، ويكون ثالثهم « بولس غانم » ! ! « وسلامة موسى » ألد أعداء العرب، وقوميتهم وآدابهم ودينهم ، وهو من أوائل الداعين إلى التخلص من اللغة الفصحى لأنهـا لغة العرب لا لغة المصريين ، وإلى التحلـل من قواعد الرفع والنصب والخفض وإلى الكتابة باللغة العامية كما نتكلمها ، وإلى نبذ الأساليب البلاغية والاقتصار على الأسلوب التلغرافي أى خبر وإيجاز. وكان صوته أعلى الأصوات وأقواها في الاتجاه إلى الغرب ، ونبذ هذا الشرق الموبوء بالكتب الصفراء ، والرؤوس المعممه ،والأدب الجنسي،والشعر النواسى ، وحكايات ألف ليلة وليـلة ، وكل ذخائر العرب لأنها كلهـا نواسية ! ! .

وهكذا كان يتقزز من كل ماهو عربي ، ويتجمس على حساب تقويض الأدب العربي وهدمه ، وعلى حساب قطع ماضينا عن مستقبلنا ، وعلى حساب التاريخ الذي يصل الأجداد بالأبناء والأحفاد ، ولا غرابة

فهو صاحب دعوة عريقة في الالحاد والشيوعية والشعوبية ، وهو أحد أجراء « ولكوكس » الانجليزي الاستعماري الأصيل الذي استأجر ضمائر بعض الخونة من حملة الأقلام السوداء وسخرها للكتابة بالعامية الدارجة واللهجة الأقليمية ، وقد استطاع هذا آن يعمل على إصدار صحيفة اسبوعية بدمشق أسموها « حط بالخرج » باللهجة العامية الدمشقية ولم تعش طويلاً والحمد لله فقد مجها الذوق العربي ونبذها القراء . وفي لبنان مابرح « القوالون ، والقرادون والمعينون » يغذون السير في هذا الدرب العامي المبلبل ، لا بايحاء مباشر من المستعمرين وسفراء الدول الأجنبية فحسب بل بتشجيع من بعض أساتذة الجامعتين الأمريكية واليسوعية ، وبتحريض سافر من الشاعر الرمزى « سعيد عقل » بدعوى أن هذا الضرب من القول السوقي يمثل المزاج اللبناني المفطور على حب الشعر وقول المغنى والقرادى والزجل المحلى والنقر على الدف .

ويبدو أن نكوص « محمود تيمور » على عقبيه ، ورجوع « توفيق الحكيم » عن الكتابة العامية والحملات المتتالية التي يشنها الأصلاء في الأدب على الكتاب المتحمسين للهجة العامية ، والهمهمة التي نسمعها ممن لا يستسيغون إلا الرصين من القول المهذب سوف ترغم « يوسف ادريس » وابرهيم المصري ، ومحمود عبد الحليم ، وانيس منصور ، واحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعي » وسواهم من هم على شاكلتهم على الاقلاع عن المثي مستندين على عكاكيز ممن العامية السوقية ، كما سترغم محطات الاذاعة أيضاً على التزام اللغة العربية السليمة كما يكتبها ويتحدث بها الأدباء المخلصون وتجنب اللحن لأنها تسمع في جميع الأقطار

العربيـــة التي تقدس القرآن وتمجـد لغة القرآن ، وتفهـم روح القرآن .

إن زبد هؤلاء سيذهب جفاء مع الريح ، كما سيذهبون في عالم النسيان ولا يبقى لذكرهم أثر إلا في معرض اللعن والسخرية .

وستبقى اللغة العربية شامخـة الذرا، ناصعة الجبـــين ، مرفوعة الرأس .

خاتمـــة

بعون الله تعالى ومنه وكرمه تم جمع وكتابة وتنسيق وطبع هذه الأبحاث التي أعتبرها كما أسميتها « المدخل إلى العربية » .

وعسى أن أكون قد قدمت فيها مافيه نفع لمنتجع وغلة لصادٍ . سائلاً ذاته العلية أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم حتى تكون لنا في ميزان الحسنات نوراً « يومَ ترى المؤْمنينَ والمؤمناتِ يسعى نورهمْ بينَ أيديهمْ وبأيْمانهم بُشراكمُ اليومَ جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ذلكَ هوَ الفوزُ العظيمُ » (١) وأن يمنحنا القدرة على القيام بخدمة اللغة العربية الشريفة التي شرفها تعالى اسمهُ ، فأنزل فيها ـ على قلب نبيه وخاتم رسله صلى الله عليه وسلم ـ كتابه الكريم وقرآنه العظيم هدىً للناس وصراطاً مستقيماً ، فتسنح لي الايام ويسر الله إصدار كتاب ثانٍ بعنوان « علوم اللغة العربية » يكون متمماً للفكرة التي من أجلها أصدرت هذا الكتاب ألا وهي « عقد آصرة مقدسة بين أبناء العربية وأمهم الفصحى عن طريق التشويق والتحبيب » . ولا شك أنها محاولة آمل أن أجد بذورها قد أنبتت سنبلات خضراً تورق وتزهر وتثمر حتى « تؤْتي أكلَها كلَّ حينٍ باذنِ ربها » (٢) .

وإن خير ما أختم به هذا الكتاب بعد شكر الله تعالى وحمده

---

(١) سورة الحديد ـ ١٢ (٢) سورة ابراهيم ـ ٢٥

والثناء عليه ، والصلاة والسلام على الرسول العربي القصيدتان الفريدتان في موضوع كتابنا هـذا جادت بها شاعرية علمين من أعـــلام الاسلام والعروبة ، ومحاميين كانا في طليعة الدعاة للغة العربية والمدافعين عنها :

الأول : فضيلة العلامة المجاهد « محمد الخضر حسين » شيخ الجامع الأزهر وعضو المجمع اللغوي في القاهرة والمجمع العلمي في دمشق (١) .

والثاني : شاعر النيل « حافظ ابراهيم » ابن العربية البار (٢) .

(١) انظر ترجمته ص ٤١

(٢) انظر ترجمته ص ٢٠

حياة اللغة العربية

في رمضان سنة ١٣٣٥ هـ أنشأ الأستاذ الكبير « محمد الخضر حسين » قصيدة في حياة اللغة العربية في أسلوب رواية خيالية ونشرت في جريدة « الزهرة » الزاهرة نثبتها هنا إتماماً للفائدة ونصها :

بصري يسبحُ في وادي النظرْ ... يتقصَّى أثرًا بعدَ أثرْ
وسبيلُ الرشدِ ممهودٌ لمن ... يتجافى الغمضَ ما استطاعَ السهرْ
إنما الكونُ سجلٌ رُسمتْ ... فيهِ للافكارِ آيٌ وعبرْ
وإذا أرخى الدجى أستارَهُ ... هبَّ سمعي كاشفاً عما استترْ
لستُ انسى جنحَ ليلٍ خفقتْ ... فيهِ بالأحشاءِ أنفاسُ الضجرْ
لجَّ بي التسهيدُ حتى أوشكتْ ... غرةُ الاصباحِ أن تغشى السحرْ
قمتُ أسعى لتقاضي سلوةً ... ومطايا السعيِ مرقاةُ الوَطرْ
قمت أخطو فجرى حادي الصبا ... بحسيسٍ من أحاديثِ السمرْ
وانثنى بي نحوَ ناد نشبوا ... في لحاءٍ ولجاجٍ منتشرْ
لا تعي من بينهم إلا وغى ... في مزيجٍ مثلَ ضغثٍ معتكرْ
وإذا الخصمانِ لم يهتديا ... سنةَ البحثِ عن الحقِ غبرْ
هذهِ طائفةٌ تحدُو بما ... في لسانِ العُربِ من فضلٍ ظهرْ
وجفتهُ فئةٌ فاهتضموا ... شأنهُ والجهلُ مدعاةُ الحذرْ

وتراضوا بعد ذا أن نصبوا حكماً بينهم فيما شجر
فانبرى فيهم خطيباً بصدى لهجةٍ فصحى وجأشٍ مستمر
لغةٌ أودعَ في أصدافها من قوانين الهدى أبهى دُرر
لغةٌ نهرٌ من أغصانها زهرَ آدابٍ وأخلاقٍ غرر
ضاقَ طوق الحصر عن بسطتها ولآلي البحر ليست تنحصر
فاض من نهر مبانيها على فصحاء العرب سيلٌ منهمر
فسرت روح بيانٍ في اللها كخصيب الأرض يحييه المطر
وابنها المنطيقُ إن زج بهِ في مجال القولِ جلىَّ وبهر
يسبكُ المعنى متى شاءَ على صيغ شأن الغنى المقتدر
ثمَّ لا يعوزه السير على وضعها في كل معنى مبتكر
فاسأل التاريخ ينبيك بما أنجبت أرض قريشٍ ومضر
من خطيبٍ مصقعٍ أو شاعرٍ مفلقٍ يسحب أذيال الفخر
ضربت في كل شربٍ ينتحى من فنون الحسن بالسهم الأغر
أرشفت من شنب الرقة ما يذهل الأسماع عن نغم الوتر
ولطيف اللفظ يسري في الحشا ماسرت نظرة ظبي ذي حور
وتذيب القلب رعباً بجزا لة أسلوبٍ لديها محتكر
والكلام الجزل وضعاً واقع موقع السيف إذ السيف خطر
ضلَّ قوم سلكوا في حفظها سبباً أوهن من حبل القمر
واحتست في نطق بعضٍ أحرفاً من لغى أخرى فأضناها الخدر
بعض من لم يفقهوا أسرارها قذفوها بموات مستمر
نفروا عنها لواذا وإذا جفَّ طبع المرء لم تغن النذر
مازكا تفاح لبنان على حسك السعدان في ذوقِ مذر

هكذا في نظر الأعشى استوى ... زهر روض وهشيم المحتظر
لغةٌ قد عقد الدين لها ... ذمةً يكلؤها كلُّ البشر
أو لم تنسج على منوالها ... كلم التنزيل في أرقى سور
يالقومي لوفاءٍ إنَّ من ... نكث العهد أتى إحدى الكبر
فأقيموا الوجه في إحيائها ... وتلافوا عقد ما كان انتشر

اللغة العربية تتكلم

آلم « حافظ ابراهيم » أن يرى أبناء اللغة العربية يعرضون عن أمهم الفصحى إلى لغات أعجمية فأنشأ هذه القصيدة متحدثاً فيها عن حال اللغة العربية وما آلت إليه من إهمال وإعراض فقال على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... ونديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالاً وأكفاءً وأدت بناتي
وسعت « كتاب الله » لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ ... فهل سألوا الغواصَ عن صدفاتي
فيا ويحكم ! أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم - وإن عزَّ الدواء - أساتي
فلا تكلوني للزمان فانني ... أخاف عليكم أن تحينَ وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة ... وكم عزَّ أقوامٌ بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً ... فيالَيتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم ... بما تحته من عثرة وشتات

سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً ... يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظته ... لهنّ بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرقٌ ... حياء بتلك الأعظم النخرات
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً ... من القبر يدنيني بغير أناه
وأسمع للكتاب في مصر ضجة ... فأعلم أنّ الصائحين نعاتي
أيهجرني قومي - عفا الله عنهم - ... إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الأفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضمّ سبعين رقعه ... مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل ... بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فاما حياةٌ تبعث الميت في البلى ... وتنبت في تلك الرّموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ... ممات لعمري لم يقس بممات

مصادر الكتاب

١	المزهر	السيوطي
٢	الخصائص	ابن جنى
٣	فقه اللغة وسر العربية	الثعالبي
٤	المفصل	الزمخشري
٥	دراسات في العربية وتاريخها	محمد الخضر حسين
٦	أمال ومحاضرات في فقه اللغة	محمد المبارك
٧	علم اللغة	على عبد الواحد وافي
٨	فقه اللغة	« «
٩	اللغة والمجتمع	« «
١٠	تاريخ آداب العرب	مصطفى صادق الرافعي
١١	تاريخ الأدب العربي	احمد امين ورفاقه
١٢	المنتخب من أدب العرب	« «
١٣	الأدب العربي ونصوصه	احسان النص
١٤	اللغة العربية كائن حي	جرجي زيدان
١٥	الفلسفة اللغوية	« «
١٦	التراتيب الادارية او نظام الحكومة النبوية	عبدالحي الكتاني
١٧	اقتضاء الصراط المستقيم ومخالفة اهل الجحيم	ابن تيمية
١٨	التصوير الفني في القرآن	سيد قطب
١٩	القرآن	محمد حسنين مخلوف
٢٠	العروبة الخالدة	امين عيروض

الفهرس

البحث	الصحيفة
آيات الافتتاح	٣
الاهداء	٥
أقوال مأثورة	٦
كلمة بين يدي الكتاب	٧
مخطط الكتاب	٩
التمهيد	١١
اللغة العربية	١٢
مكانة اللغة العربية	١٣
أهمية تعلم اللغة العربية	١٧
واجبنا نحو اللغة العربية	١٩
الباب الاول ـ اللغة	٢٧
تعريف اللغة	٢٩
الغاية من اللغة	٣١
أهمية تعلم اللغة	٣٢
تأثير اللغة في الأمة	٣٥
خواص اللغة	٣٧
نشأة اللغة	٩٣
دلالة اللفظ على المعنى في اللغة	٤٨

الباب الثاني ـ اللغة العربية ٤٥
الفصل الاول ـ خلود اللغة العربية ٥٥
هل يمكن اتحاد البشر في لغة واحدة ، الاسبرانتو » ؟ . ٥٦
اللغة العربية خالدة لاتموت ٥٩
فضل اللغة العربية وشواهده : ٦٢
١ ـ الموازنة بين اللغة الفارسية واللغة العربية . . . ٦٤
٢ ـ رأي المستشرق « أرنست رينان في اللغة العربية . ٦٥
٣ ـ رأى المطران «يوسف داوود الموصلي» في اللغة العربية ٦٦
٤ ـ رأي العلامة فريتاغ في اللغة العربية . . . .
٥ ـ الحكم المنصف للغة العربية . . . . . .
اللغة العربية بين الماضي والحاضر ٦٧
نهوض اللغة العربية ٦٩
تطور اللغة العربية ٧١
تهذيب اللغة العربية ٧٣
الفصل الثاني ـ تاريخ اللغة العربية ٧٩
نشأة اللغة العربية ٨١
أطوار نمو اللغة العربية ٨٣
عوامل نمو اللغة العربية ٨٧
خصائص اللغة العربية ٩٠
خصائص اللغة العربية الصوتية ٩٢
اللغة العربية في عهد الجاهلية ٩٣
عناية العرب بفصاحة اللغة العربية في عهد الجاهلية . . ٩٤
أثر الاسلام في رقي اللغة العربية ٩٦

أسلوب القرآن وأثره في اللغة العربية ٩٩
أسلوب الحديث النبوي وأثره في اللغة العربية ١٠٧
ضعف ملكة اللغة العربية وتفشي اللحن وأثر ذلك . . . ١١٠
الشغف بالمحسنات اللفظية وأثره في إفساد ملكة اللغة العربية ١١٢
الفصل الثالث ـ فقه اللغة العربية ١١٥
فصاحة الكلام في اللغة العربية ١١٧
فصاحة مفردات اللغة العربية ومحكم وضعها ١١٨
حكمة تراكيب اللغة العربية ١٢٢
تعدد أوجه الدلالة في اللغة العربية ١٢٦
تعدد أساليب اللغة العربية ١٢٩
طرق الاختصار في اللغة العربية ١٣٣
التشبيه في اللغة العربية ١٤٠
اتساع وضع اللغة العربية ١٤٥
نمو اللغة العربية ١٥١
طرق الوضع في اللغة العربية ١٥٣
الفصل الرابع ـ دفاع عن اللغة العربية ١٦٣
اقتباس اللغة العربية من غيرها دليل مرونتها ١٦٤
ارتقاء اللغة العربية مع المدنية دليل صلاحيتها للحياة . . . ١٦٦
الاسلام لم يعق نمو اللغة العربية ورقيها مع المدنية . . . ١٦٨
ليست اللغة العربية ضيقة النطاق عاجزة عن مسايرة ركب المدنية ١٧٠
كيف وجدت اللغة العامية العربية ١٧٢
بين اللغة العامية واللغة العربية ١٧٤

قيام مجمع لغوى عربي واحد ضمان لنهوض اللغة العربية . . ١٧٧
لن تنهض الشعوبية رأسها بعد الآن أمام حماة اللغة العربية . ١٨٠
خاتمـــة ١٨٥
حياة اللغة العربية ـ قصيدة العلامة « محمد الخضر حسين » ١٨٧
اللغة العربية تتكلم ـ قصيدة الشاعر « حافظ ابراهيم » . . ١٩٠
مصادر الكتاب ١٩٢
تصويبـات ١٩٣

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩	٧	بحثي	بحث مع شطب جملة وأثر التعريب عبر العصور في اللغة العربية
٢٤	١٢	موضع	موضوع
٣٣	٢٢	٩ً	١٠ً
٢٥	٥	فنه	فانه
٣٠	١٥	ومنها	ومنه
٣٣	٨	مفهم	معهم
٣٣	١٩	قلت: فتعلمتها	قلت: نعم فتعلمتها
٣٣	٢١	على كتابه	على كتابه قال: فتعلمته
٣٧	٩	يجتذبه	يحتذيه
٣٩	٧	نظرية التوقيف	نظرية التوقيف الالهي
٣٩	١٧	الصاحب	الصاحبي
٤٠	١١	توقيقاً	توقيفاً
٤١	١٠	والقائون	والقائلون
٤٢	١	التوفيق	التوقيف
٤٣	١٤	الفضل	الفصل
٤٢	١٥	ماليمه	تعاليمه
٤٢	٢١	ترحم الى لغات	ترجم الى لغات العالم
٤٣	١٦	شجيج	شحيج
٤٤	٤	سقط سطر سهواً ونصه:	
٤٤	٧	يتشكل	بتشكل
٤٥	٢١	سقوط حاشية الاشارة (٢)	(٢) في أماليه ومحاضراته الجامعية
٤٨	٢	ثابت	ثاقب
٤٨	١٨	( )	(١)
٤٨	٢٠	« والشفاء »	و« الشفاء »
٤٩	٦	يل	بل
٥٩	٢٠	من قال عليكم بلغة	من مقال عليكم باللغة
٦٠	٢٠	وأخيارها	وأخبارها
٦٢	١٣	ألفاظبهم	ألفاظهم
٦٣	١٣	سورة ابراهيم	سورة ابراهيم: ٣
٦٤	٥	اللات	اللغات
٦٤	١٨	ابو على الفارس	ابو على الفارسى
٦٥	١٠	المدهان	المدهشات
٦٩	٣	وآلان	والآن
٧٠	١٩	ترقي	ترقى
٧٥	١١	تسير الان	تغير الآن

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٩	١٣	تفشي اللحن وأثره ذلك	وتفشي اللحن وأثر ذلك
٨١	٦	احدي	إحدى
٨٢	٧	نكثر فية	تكثر فيه
٨٢	١٤	« ونجد »	و « نجد »
٨٣	٧	بعرتبينا	بعربيتنا
٨٨	١٠	اعرب	العرب
٨٨	٢٠	والاعشي	والأعشى
٩١	٥	الجلل (١)	الجلل
٩٢	١٠	والاعشي	والأعشى
٩٢	١٢	قفايتك	قفانبك
٩٢	١٣	وعهده	وعهره
٩٢	١٣	وبدى	وبذى
٩٢	١٣	في مرضته	في مرضه
٩٣	١٠	الوعي	الوغى
٩٣	١١	امازني	المازني
٩٣	١٢	بعضٌ	بعضُ
٩٣	١٣	لا نحيد	لا تحيد
٩٥	٦	يكسر وتلقب	بكر وتغلب
٩٥	٧	ليه	لبه
٩٥	١١	الأكم	الأكمه
٩٥	١١	ويحى	ويحيي
٩٦	١٧	كالوليد ابن المغيرة	كمسيلمة بن حبيب الكذاب
٩٧	١٤	مايروي	مايروى
٩٧	١٦	يزها	يغمزها
٩٩	١٤	وإيجاز	ومجاز
١٠٤	٥	انه كذب	أنه كذاب
١٠٤	١١	أو	أن
١٠٤	١٢	امنو	آمنوا
١٠٦	١٢	تقى	نقى
١٠٦	١٥	والذرايات	والذاريات
١٠٧	٥	صقوة	صفوة
١٠٧	١١	خشية أن على	خشية أن
١٠٨	٥	الهُدَىَ	الهُدَى
١٠٨	١٠	هدى	هدى
١٠٨	١٢	اشتكي	اشتكى
١٠٩	٤	لأفكار	الأفكار
١٠٩	١٦	قيم	قيمة
١١٠	١٢	(١٧)	(١٦٧)
١١٨	١٠	قريباً	قريباً
١٢٤	١٢	مما	مما
١٢٨	١	إلي	إلى
١٢٩	٢	اللغة	اللغة العربية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٩	١٨	وبعبر	ويعبر
١٣١	١٠	فتماثل	فتتماثل
١٣٤	١	وجوة	وجوه
١٣٥	١	ثم	ثم
١٣٨	١٤	في ترجيحه	في ترجيحه
١٤٧	٥	والموصلات	والموصولات
١٤٩	١	المعنى ...	المعنى المؤدى بلهجة
١٥٠	٤	الكناب	الكتاب
١٥٢	٧	وتُقبضَ	وتُقيَّضَ
١٥٦	٢	التخيل	التحيل
١٥٦	١١	طرقاً	طرفاً
١٥٨	٧	مغجزاً	معجزاً
١٥٨	١٥	ميكون	فيكون
١٦٠	٥	والبانت	والنبات
١٦٠	١١	لرمز	الرمز
١٦٠	١٣	وبزتُ	وبزلت
١٦٠	١٩	تينت	وتبينت
١٦١	٢	نذهبون	يذهبون
١٦٤	٨	باليونان	باليونانية
١٦٦	١٢	الدي	الذي
١٦٧	١	بعص	بعض
١٦٨	١٢	لاتزال طوائف	لاتزال لغة طوائف
١٦٨	١٨	وكما	كما
١٧٢	١٢	يرجع	ترجع
١٧٦	٥	أجناسه	أجناسهم
١٧٦	٧	وتفرقها	ونفرقها
١٧٧	١٠	لغاث	لغات
١٧٨	٦	ولمرافق	والمرافق
١٨٢	٩	سلامه	سلامة
١٨٣	١٨	من	ممن
١٨٣	١٩	ممن	من
١٨٥	١١	تيسر	ييسر
١٨٨	١١	فأسأل	فاسأل
١٨٩	٥	فأ[illegible]وا	فأقيموا
١٩١	١١	يعده	بعده